# أنا لُغَتِي

في أهمية اللغة الأم
وتنميتها في الأهواز

سعيد بوسامر

سعيد بوسامر

# أنـا لـغتـي

## في أهمية اللغة الأم وتنميتها في الأهواز

سعيد بوسامر

دار قهوة للنشر والتوزيع

2020

| | | |
|---|---|---|
| سرشناسه | : | بو سامر، سعيد، ١٣٦٢. (سيد سعيد خجسته نام) |
| عنوان وپديدار | : | أنا لغتي (في أهمية اللغة الأمّ وتنميتها)/ سعيد بوسامر |
| مشخصات نشر | : | أهواز: دار قهوة للنشر والتوزيع، ١٣٩٨. |
| مشخصات ظاهری | : | ١٦٠ ص. |
| شابك | : | **2-20-7076-622-978** |
| وضعيت فهرستنويسی | : | فيپا |
| موضوع | : | اقليت‌ها – ايران—زبان |
| موضوع | : | Minorities – Iran—language |
| ردهبندی كنگره | : | ١٣٩٨ ٨م / ٦٠٢١ **PJ** |
| ردهبندی ديويی | : | **705/492** |
| شماره كتابشناسی ملی | : | **6098954** |

نشر قهوه

سعيد بو سامر
أنا لغتي (في أهمية اللغة الأم وتنميتها)
تصميم الغلاف: شهاب أحمد
دار قهوة للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى/ ١٣٩٨ هـ.ش – ٢٠٢٠ م.
عدد النسخ: ١٠٠٠
الترقيم الدولي: **978-622-7076-20-2**
السعر: ٣٠٠،٠٠٠ ريال

العنوان: الأهواز- حي معين زادة - شارع لادن ٤ - عمارة الصادق – شقة ١
النقال: ٠٩١٦٩١٠٢٦٩٤

أقدّم هذا الجهد المتواضع:

إلى من ربّاني صغيراً ورعاني شابّاً وصاحبني كبيراً

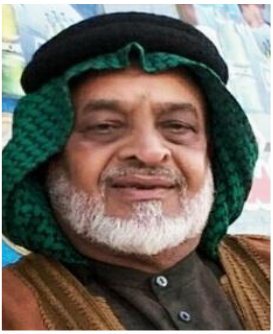

وإلى أمي التي تعلمت في مدرستها أبجدية الوفاء ومناهج التضحية

وإلى حبيبتي التي كانت وما زالت باقةَ وردٍ تعطّر مسيري العلمي

وإلى جميع العوائل الأهوازية

من أعماق القلوب نوجّه كلمة شكر مشفوعة بالامتنان

والتقدير إلى الخيّر "أبي فهد" على مساهمته ودعمه المالي للكتاب

# الفهرس


تمهيد وتعريف بالكتاب..... 7
الفصل الأول: مصطلحات وتعاريف..... 11
الفصل الثاني: خلفية البحث..... 19
الفصل الثالث: ماهية اللغة..... 24
الفصل الرابع: اللغة الأم..... 32
-أهمية تعلم اللغة الأم ..... 36
-من الأسرة إلى المدرسة..... 41
- دور اللغة الأم في نفسية الطفل الأهوازي..... 49
-صراع اللغة الرسمية واللغة الأم..... 60
-الحفاظ على اللغات الأم في البلاد المتقدمة..... 64
-نزعة الابتعاد من اللغة الأم والرغبة في الالتحام بالآخر..... 69
الفصل الخامس:العلاقة بين التعددية اللغوية والقوى الإدراكية للدماغ.... 80
الفصل السادس: اللغة والهُوية..... 92
-ماهية الهُوية..... 92
-صلة اللغة بالهُوية..... 98
-التجربة اليهودية..... 103
-التجربة اليابانية ..... 104
-التجربة الكورية..... 104
-التجربة الويلزية..... 105
-التجربة البنغالية..... 105
-التجربه الأمازيغية..... 107
-التجربة الأهوازية..... 108

الفصل السابع: الإمبريالية اللغوية ..... 113
-السياسة اللغوية..... 113
-فكرة الدولة- الأمة..... 122
- اللغة كمجال للصراع..... 131
خاتمة..... 135
أقوال مأثورة في اللغة وأهميتها..... 145
المصادر..... 151

## تمهيد وتعريف بالكتاب

تُعدُّ اللغة آلة التواصل بيننا نحن البشر فنُعبّر بها عن أفكارنا ومشاعرنا وانفعالاتنا النفسية، بحيث يستطيع الآخرون التواصل معنا وفهم ما نريد، كما تعبّر عن حاجاتنا ومشكلاتنا واتجاهاتنا وتساعدنا على فهم كل ما يحيط بنا، وهي أهمُّ وسيلة لبناء الحضارات وللتفاعل الاجتماعي وتكوين العلاقات الاجتماعية والصداقات. ضخامة تأثير اللغة محسوس في حياتِنا من حيث نشعر أو لا نشعر. رغم الدور المهم الذي تُقدّمه اللغة لا بُدّ أن نقرّ أن هناك مهددات متزايدة لبعض اللغات القومية والمحاولات التي ترمي إلى تشويهها ونفيها إلى الهامش وإبدالها بلغات أخرى في بقاع مختلفة من الأرض حيث تحكمها الأفكار الأحادية التي لا يهمها إلا فكرة الهيمنة.

على القارئ العزيز أن يعيَ أنّ الكلام بلغة غير لغته ليس قولاً لأفكاره بكلمات أخرى، إنّه تفكر آخر في شيءٍ آخر ومثل هذا التصرف لا يمكن أن يكون مفيداً لمستقبل شعبٍ ما، فحضارة أي شعب لا تزدهر إلّا بفضل لغته وعن طريق اللغة يكوّن التفكر والتفاهم والتواصل والتفاعل بين العقول والأفكار.

هذا كتابٌ متواضعٌ في مسألة معقدة ومهمة جداً ويأتي في زمان حيث تهيمن على اللغة الأم في الأهواز حالة من الضباب وضعف التداول الصحيح وهجمة عنيفة تحاول أن تهمشها لصالح لغة أخرى-الفارسية. من هنا فقد راجعت عدداً من الأبحاث النظرية والمفاهيمية والدراسات التطبيقية وحرصت على المزج بين العديد من المناهج في طرح القضايا المختصة باللغة الأم لأعطي

جواباً شافياً ومقنعاً للذين باتوا ضحايا أفكار وحجج وهمية تكاد أن تزيل لغتهم وثقافتهم من الوجود.

أعددتُ هذا الكتاب بلغة عربية مبَّسطة حتى أحث المجتمع الأهوازي على القراءة والكتابة باللغة العربية أو الاهتمام بها على أقل تقدير. بناءً على هذا، فإنني أعد نفسي في عداد الذين يعترفون ويؤمنون بضرورة النضال اللغوي عبر تحرك علمي لحماية اللغة العربية في الأهواز. وفي ضوء ما سبق رأيتُ تقسيم هذا الكتاب إلى مباحث سبعة جاءت في العناوين التالية:

الأول: المصطلحات والتعاريف: محورٌ طرحنا فيه أهمَّ المصطلحات والتعاريف المرتبطة باللغة الأم والتي جاءت في بحثنا هذه.

الثاني: خلفية البحث: ذكرنا في هذا الفصل الدراسات والبحوث الأهوازية التي تطرقت إلى موضوع اللغة والهوية.

الثالث: اللغة: أتينا هنا بتعريف ماهية اللغة بصفتها هبة عظيمة أتحفنا بها الحقّ سبحانه وتعالى.

الرابع: اللغة الأم: وصف الباحث هنا اللغة الأولى التي يتعلمها الطفل بالأم؛ لأنها تعد بمنزلة الأم لدى المتكلم والتي تكوّن شخصيته الحقيقية وانتماءه إلى قومه وعرقه وتجعله في إطار هويته. بعد الوصف المبسط للغة الأم تطرقنا إلى الدور المهم الذي تؤديه اللغة الأولى في حياة الطفل وتأثيرها في نفسيته في البيت وفي المدرسة.

الخامس: العلاقة بين التعددية اللغوية والقوى الإدراكية للدماغ: يحلل هذا الفصل العلاقة بين تعلم لغة ثانية إلى جانب اللغة الأم وارتباطها بالقوى الكامنة في دماغ الإنسان، وذكرنا مجمل البحوث التي ركزَت على هذه

الظاهرة. حاولنا أن نأتيَ بنماذج علمية متسلسلة ومرتبة زمنياً تمهد الطريق للاهتمّام الأكثر بالتعددية اللغوية في الأهواز وبقية أنحاء العالم التي لا تعترف بالتعددية اللغوية والتي تهمَّشت لغاتها الأم لصالح لغة واحدة غالبا هي لغة السلطة.

السادس: اللغة والهوية، بعد وصف الهوية وعناصرها تطرقت الدراسة إلى العلاقة الجدلية بين اللغة والهُوية ومستويات هذه العلاقة والإشارة إلى بعض التجارب الإحيائية للغة والهُوية التي حدثت في أنحاء مختلفة من العالم.

السابع: الإمبريالية اللغوية: بحثت الدراسة هنا السيطرة اللغوية والسعي لمحو اللغات المغلوبة بتقديم بعض الحجج الواهية اللاعلمية من المتسلط الشرس الذي يحاول أن يوّحد الشعوب وحدةً وهميةً بنفي لغاتها وثقافاتها وتحوّل هُوياتها؛ هذا لأن موضوع اللغة في إطاره الاجتماعي لا ينفصل عن الموضوع السياسي الذي لا ينفصل _بطبيعته_ عن المؤثرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعن العوامل الداخلية والخارجية.

تجدر الإشارة هنا إلى أن لكلّ لغة خصوصيتها ولكلّ مجتمع وضعه الذي لا يشترك بالضرورة مع غيره من المجتمعات، لكن مثل هذه الدراسات تقدم إلى الباحثين أدلة من الممكن أن يطوروها أو يستخدموها منطلقاً لدراسات أخرى تتناول قضايا مرتبطة. لا بُدّ أن أعترف أن من أهم دوافعي لإعداد هذا الكتاب هو لفت الأنظار إلى ضرورة تداول موضوع اللغة الأم المعقد، من منظار علميٍ بحت، بعيداً عن الدعايات الإعلامية الصاخبة والأحلام، فهذا الكتاب

بتحليله ودحضه بعض الهتافات العنصرية يُعد العمل النقدي التفكيكي الأكثر تركيزاً على أهمية موضوع اللغة الأم. كما أرجو أن تكون هذه الدراسة المتواضعة قد أسهمت في إغناء ثقافتنا العربية الأهوازية وأدت هدفها المنشود في تقديم بعض الإجابات الشافية ورفع بعض التشويشات وإثارة بعض الأسئلة في ركيزة أساسية من ركائز الهُوية ألا وهي اللغة الأم. وأخيراً أقدم خالص ودّي وتقديري إلى كلٍّ من الأستاذ السيدجبار الموسوي والأستاذ عاشور قاسم الصياحي لاهتمّامهم الرائع ولمراجعتهم النص والتدقيق فيه، والكاتب سعيد مقدم والأستاذة سماهر أسد وكل من ساهم وشارك في تكملة البحث من أساتذة وطلاب وطالبات.

**الأهواز/نوفمبر ٢٠١٩/سعيد بوسامر**

# الفصل الأول
# مصطلحات وتعاريف

**اللغة**[1]: تُعدّ القوه الفريدة التي تميّز البشر عن بقية الكائنات بنظامها الخاص والمعقد في التواصل. يمكن أن ينسب إليها غير البشر أيضاً، كقولهم لغة النحل ولغة الدلافين.

**اللغة الأم**[2]: اللغة الأم هي اللغة التي يفكر بها الإنسان ويحلم بها ويضحك بها ويبكي بها، وتُعرف غالبا أنها اللغة التي يتعلمها الشخص أولاً ويستعملها أكثر ويضبطها ضبطاً جيداً. علائقياً اللغة الأم هي اللغة التي تكون مرتبطة ومعقودة بهوُية الفرد حيث يعرّف نفسه بها فيقول مثلاً: أنا عربي، صيني...إلخ

**لغة الوجاهة الاجتماعية**[3]: هي في معظم الأحيان اللغة الرسمية؛ أي اللغة الوحيدة للمدارس والجامعات والدوائر الحكومية، المعوّل عليها من مستخدميها وهي العالية والمتعالية اقتصادياً وثقافياً والمفضلة على بقية اللغات الموجودة. سيطرة هذه اللغة تأتي من الإعلام الحكومي الذي يروّج لها

---

[1] Language

[2] Mother language

[3] Prestige language

ويهمل اللغة أو اللغات الأخرى الموجودة في الجغرافيا المعينة، لذا يميل الأفراد غالباً إلى استخدامها اقتداءً بالفئة المسيطرة التي تتكلمها.

**أحاديّ اللغة** :[٤]الفرد الأحادي اللغة يتحدث لغة واحدة ويستطيع أن يستخدمها على مستوى التخاطب والتواصل والقراءة والتعبير.

**ثنائي اللغة:**[٥] الفرد الثنائي اللغة يستطيع أن يتكلم لغتين بدرجة من الطلاقة وفي أغلب الأحيان يتقن لغةً أكثر من اللغة الأخرى مثل أبناء الشعب الأهوازي الذين يتقنون اللغة العربية ويمكنهم التكلم بالفارسية نتيجةَ احتكاكهم باللغة الرسمية المتسلطة.

**الثنائية اللغوية المتزامنة**[٦] **والمتتابعة**[٧] : في الثنائية المتزامنة يتعلم الطفل لغته الأم ولغة ثانية أخرى كاللغة الفارسية في الوضع الأهوازي. وفي الثنائية المتتابعة يتعلم الطفل لغته الأم ويحتويها بكل ضمائمها وعندما يدخل التعليم المبكر أو المدرسة في السادسة أو السابعة من عمره يتعرف إلى اللغة الثانية (اللغة الفارسية) وتنفرد بالتأثير دون اللغة الأم.

**التعددية اللغوية**[٨]: الفرد المتعدد اللغات يستخدم ثلاث لغات أو أكثر للتواصل. بلاد غرب إفريقيا كالنيجر، وغانا، وماليزيا، وسنغافورة، وحكومة الاحتلال الإسرائيلي تُعدّ من البلاد المتعددة اللغات. ويعد التعدد اللغوي

---

[4] Monolingual

[5] Bilingual

[6] Simultaneous

[7] Consecutive

[8] Multilinguality

والثقافي سمة ملازمة للمجتمع البشري، ففي الدول والمجموعات البشرية كلها، تتعايش اللغات المختلفة والثقافات المتنوعة بهذا القدر أو ذاك.

**اللغة العربية**[9]: تنتمي اللغة العربية إلى أسرة اللغات السامية المتفرعة من مجموعة اللغات الإفريقية الآسيوية. إنها لغة القرآن الكريم. تُعدّ اللغة العربية من أكثر اللغات تحدثاً ونطقاً، وأقدمها وإحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم، هي أيضا اللغة الأضخم وتحتوي على أكثر من ١٢ مليون كلمة وإذا قورنت مثلاً مع باقي اللغات فتأتي اللغة الإنجليزية بالمرتبة الثانية مع ٦٠٠ الف كلمة، وبعدها اللغة الفرنسية واللغة الروسية. فإنها أكثر اللغات غزارة في مادتها وتحتوي على علوم كثيرة. العدد الهائل للكلمات في هذه اللغة يعود إلى كثرة المفردات ودقتها بوصف المشاعر. فللعسل -مثلاً- ٨٠ اسماً وللحب هناك٢٤ كلمة تختلف فيها درجات الحب وللأسد أكثر من ٥٠٠ اسم. يقال إن اللغة العربية هي اللغة التي بدأ بها الكون، وهي اللغة التي ستبقى على وجه الأرض. فأثرها كبير في لغات متعددة في العالم منها الفارسية والكردية والملايوية والتركية والفرنسية والإسبانية. يتحدث اللغة العربية أكثر من ٥٠٠ مليون إنسان، ويتوزع المتحدثون بها في الوطن العربي، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى مثل: الأهواز وتركيا وتشاد ومالي والسنغال وإرتيريا وإثيوبيا وجنوب السودان ولأنها لغة شاملة دخلت أوروبا وأمريكا أيضاً. قد كانت اللغة العربية فترة امتداد الحكم الإسلامي اللغة

---

[9] Arabic Language

المشروعة[١٠] في معظم أنحاء العالم لثمانمئة عام. للغة العربية يوم يحتفل بها فيه وهو١٨ ديسمبر من كل عام ويرجع هذا التاريخ إلى يوم الاعتراف باللغة العربية كونها لغةً من اللغات الأساسية في منظمة الأمم المتحدة.

**اللغة الفارسية**[١١] :هي إحدى اللغات الهندو الأروبية التي تنتشر في إيران وبعض الدول التي تجاورها مثل أفغانستان وطاجيكستان. تُعدّ اللغة الرسمية للبلاد ولا يتكلمها الأغلبية في إيران كونها لغة أم، بل تتعلمها الأغلبية كونها لغة رسمية منصوصة. تقترض اللغة الفارسية أكثر من ٦٠ بالمئة من مفرداتها من اللغة العربية[١٢] ولغات أخرى والخط الذي تُكتب فيه عربي، وحروفها عربية بإضافة ٤ حروف: گ، چ، پ، ژ. اللغة الفارسية الحديثة برزت بعد الفتح الإسلامي لإيران وبدأت في الظهور في القرن الثاني إلى الرابع الهجري بعد عصر طويل من السكوت أي عدم الكتابة بها. يقول الباحث الإيراني بوربيرار : لم يسجل في عهد بن المقفّع أي في الحقبة الأولى للقرن الثاني الهجري أي شيء مكتوب باللغة الفارسية، كما أن أول نماذج للغة الفارسية الجديدة ظهرت في القرن الرابع الهجري.

**اللغة الثانية :**[١٣]هي اللغة التي تُعَلَّم بعد اللغة الأم. على سبيل المثال، اللغة الإنجليزية تعد اللغة الثانية في النيجر والهند والفيليبين وسنغافورة؛ هذا لأن

---

[10] Legitimate

[11] Persian Language

[12] المصدر الأول: عرب ستيزى در ادبيات معاصر ايران، جويا بلوندل سعد، نشر كارنگ، ١٣٨٢، ص ٢٨.
المصدر الثاني: www.iranicaonline.org

[13] Second Language

اللغة الإنجليزية هي التي تلبّي متطلبات الحياة في تلك البلاد. نموذجٌ آخر، تعدّ اللغة الفارسية في الأهواز اللغة الثانية إلى جانب اللغة الأم أي اللغة العربية. يتعلم الشعب الأهوازي اللغة الفارسية غالباً في سن السادسة في مرحلة التعليم المبكر وفي المدرسة لاحقاً بوصفها اللغة الرسمية والدستورية في إيران.

**اللغة الرسمية**[١٤]: هي التي تستخدمها الحكومة لغةً وطنيةً للتواصل في الدوائر الحكومية والجامعات والمدارس وهي التي تسيطر على الإعلام غالباً. تسمى اللغة الوطنية حينما توجد لغة واحدة في البلاد كاللغة الألمانية في ألمانيا ولغة رسمية حينما توجد لغات أخرى إلى جانبها. بعض الدول احتراماً للغات الموجودة ومتكلميها تدرج تلك اللغات ضمن اللغات الرسمية المعترف بها، مثل الوضع اللغوي في جمهورية سنغافورة حيث اللغة الإنجليزية والصينية الماندرانية والماليزية والتاميلية تعد لغات رسمية.

الهُوية[١٥] : مصطلح يستخدم لوصف مفهوم الفرد، الكلمة مأخوذة من ضمير "هوّ" وتعبر عن فردية "هو "وعلاقته وانتمائه إلى مجموعة من الناس.

**الأمة**[١٦]: إن كلمة أمة كلمة غامضة إذ تستخدم أحياناً ضمن معناها التأصيلي للدلالة على علاقة الناس من حيث الأصل والمولد وفي أكثر الأحيان تستخدم في معناها الموسع للدلالة على امتداد إقليم ما وسكانه والحكومة

---

[14] Official Language

[15] Identity

[16] Nation

التي تحكمهم مثلاً :الأمة الإيرلندية، الأمة الإسكتلندية. وحدة الانتماء والأصل والمصير تكوّن الأساس النفسي لمفهوم الأمة الواحدة.

**الشعب**[١٧]: مجموعة من الناس تخضع لنظام اجتماعي واحد وتتكلم بلغة مشتركة في إطار ثقافة معينة ومتناقلة وعلى أرض واحدة.

**الإمبريالية اللغوية**[١٨]: مفهومٌ لغويٌ يتضمن نقل لغة مهيمنة إلى مجموعة أو قومية أخرى بطرائق متعددة منها، الاستعمار السياسي أو الثقافي أو الاقتصادي والعولمة والتكنولوجية الحديثة. كثيرٌ من اللغات المضطهدة واجهت الإمبريالية اللغوية، فبعض الشعوب استنكرت ورفضت هذه الهيمنة اللغوية وبعضها خضعت لها.

**المدة الحرجة**[١٩]: المدة الزمنية التي يستطيع الطفل فيها أن يتعلم اللغة بسهولة وبسرعة، ويجيدها لفظاً ومعنى دون صعوبة تُذكر؛ لها صلة مباشرة مع حالة تكامل الدماغ في السنين الأولى من العمر. يعتقد الباحثون أن المدة الزمنية بين الثانية من العمر وسن البلوغ هي المدة الحرجة التي يستطيع الطفل أن يتعلم لغات عدة دون صعوبة.

**الهيجمونية**[٢٠]: هي الهيمنة أو الفرض الثقافي في دلالته العامة التي تشيع اليوم في الخطاب السياسي والثقافي المتداول. الدكتور سمير الخليل في كتابه " دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي" يشير إلى التسلط أو

---

[17] The people

[18] Language Imperialism

[19] Critical Period

[20] Hegemony

الرقابة الصارمة التي يفرضها فردٌ أو شعبٌ أو مؤسسة أو غير ذلك لتحقيق مصلحة للمتسلط أو الرقيب، فيقال -مثلاً- إن تلك الدولة تمارس هيمنة عالمية، أو الحكومة تمارس هيجمونية على شعبها.

**الذكاء اللغوي**[٢١]: هو القدرة الفعالة على استخدام اللغة في تحقيق أهداف معينة، مثل التعبير عن النفس وفهم المعاني والاستماع الفعّال وتذكر المعلومات والتعبير عنها وأيضاً التحدث بطلاقة وفاعلية. ولا شكَ أن التفكير عند الطفل يرتبط بذكائه اللغوي ويمثل الذكاء اللغوي أكثر من ٨٠% من نسبة النجاح في التعلّم ومن دونه يصبح التعليم المدرسي محبطاً كما يرتفع معدل الفشل لدى الأطفال على نحو كبير على الرغم من كفايتهم في الذكاءات الأخرى.

**المثاقفة**[٢٢]: هو التغيير الحاصل في المبادئ الثقافية كاللغة والعادات والتقاليد والملابس و ... يحدث الانغماس عندما تقطن جماعات أو شعوب مختلفة في منطقة أو حدود جغرافية مشتركة. هذه الظاهرة تتم وتتفعل في البانوراما القومية والطائفية ويمكن القول بأنها نوع من الدمج الثقافي الذى يتم شيئاً فشيئاً حتى يصبح الفرد مندمجاً مع الجماعة الغالبة. استجابات الفرد تختلف تبعاً للظروف التي تجري فيها عمليات التثاقف فربما يقبل الثقافة الجديدة، أو يتكيف ويتوائم معها، أو يرفضها ويعبرعن نفسه بالحركات

---

21 Linguistic Inteligence

22 Acculturation

الشعبية التي تقوم ضد هذا الانغماس، والتي يؤكد فيها الشعب تمسكه بالقيم التي تحتويها أساليب حياته الأصلية.

# الفصل الثاني
# خلفية البحث

لم تُنجز دراسات علمية وميدانية محكّمة عن الوضع اللغوي في المجتمع الأهوازي ترمي إلى سياسة لغوية ناضجة لإنقاذ اللغة العربية وتطويرها في الأهواز.

ربما المجتمع الأهوازي عن طريق الحوار اليومي النخبوي وغيره وعن طريق الإعلام المجازي المتاح له حاول ويحاول أن يقدم شيئاً جديراً بالاهتمام بطريقة تلفت النظر إلى اللغة الأم وأثرها في التعليم المدرسي وعلاقتها بالهُوّية الفردية والمجتمعية، لكن البحوث التي اهتمّت بالوضع اللغوي في الأهواز قليلة جداً في هذا الوقت الذي بات العالم منفتحاً نحو الاهتمام باللغة الأم وتعلمها منذ السنوات الأولى للطفل.

تناولت دراسات عالمية كثيرة نظرية وتطبيقية الوضع اللغوي وخاصة في البلاد ذوي الشعوب والأمم التي هُمِشت لغاتها وثقافاتها لصالح لغة واحدة يأمل مروّجوها السيطرة اللغوية-الثقافية-السياسية. صراحة الأمر أنه يستحيل التقدم نحو مشكلتنا اللغوية والركائز المتعلقة بها كالثقافة والهُوّية و... دون دراسات نظرية وتطبيقية تبحث اللغة الأم وأهميتها. الدراسات

الأهوازية التي تكشف الأنساق اللغوية والمحاور المرتبطة بها قليلة جداً والتي نشير إليها هنا:

صدرت للباحث عاشور قاسم الصياحي دراسة عنوانها "الإشكالية اللغوية في الأهواز" وأصلها كان محاضرة ألقاها في ندوة "هنا لغتي" التي أقيمت في مدينة الخفاجية عام ٢٠١٧م. حلل الكاتب تحليلاً منهجياً ألقى فيه الضوء على الواقع اللغوي الأهوازي والأسباب الكامنة وراء ضعف اللغة العربية في الأهواز. في الواقع أن الباحث أتى ببحث تمهيدي في إطار علم اجتماع اللغة لدراسة الظواهر اللغوية الاجتماعية والذي يجب أن يُستكمل بدراسات أكثر عمقاً وتحليلاً تزيل الأخطاء الدارجة وتقوّم المسار العلمي للبحوث المهتمة باللغة الأم. وقد عرّف الإشكالية اللغوية الأهوازية أن المقصود بها المشاكل النفسية والاجتماعية والثقافية الناجمة عن حرمان الأهوازيين من التعلم بلغتهم الأم وكيفية التعبير والتواصل باللغة الأم. نلخص ما جاء به الباحث هنا:

- الكفاءة اللغوية غير المناسبة لا تعود إلى فقر النصوص، أو قلة الآليات، أو ضعف الحوافز في التعليم، ونظريات التعليم، أو في مناهج التدريس غير الملائمة بل إنها ترجع غالبا إلى قوى سياسية والتي تبقى عائقاً يحول دون الشغل والتعليم والرفاه.
- هناك دور بارز لإيديولوجية الأحادية اللغوية الإيرانية في تكوين الوضع اللغوي العربي في الأهواز وبقية المجموعات اللغوية.
- وضع اللغة العربية في الأهواز ليس جيداً من حيث الاهتمام والتكلم والكتابة.

- الفرد الذي يهجر لغته لصالح لغة أخرى يواجه انفصاماً هوّوياً وثقافياً ولن يقدر على اكتساب موروثه الثقافي والتاريخي وقيمه ومعانيه وقد يفقد في النهاية سماته الهُوويّة المنطبقة مع ذاته الثقافية.
- تعد اللغة أحد مجالات الصراع؛ وذلك لأن المجموعات الاجتماعية تسعى إلى ممارسة السلطة بتحكمها في اللغة.
- موقف الفرد من لغته يعد عاملاً حاسماً في نمو تلك اللغة أو اضمحلالها وفي انتشارها أو تضعيفها.
- العائلة التي تفتقر إلى الوعي الهُووّي والذاتي العربي لا تعير أي أهمية للغة الأم؛ لأنها تعي وعياً زائفاً بأن تعلم اللغة العربية يضعف قدرات طفلها في المدرسة والمجتمع.

لكاتب هذا البحث عدة مقالات تقريرية باللغة العربية عن أهمية اللغة الأم ودراسات أكاديمية باللغة الإنجليزية(نُشرت ملخصاتها بالعربية) تناولت موضوع اللغة عامة واللغة الأم والتعددية اللغوية خاصة نشرت في مجلات عالمية كمجلة باكينكهام البريطانية ومجلة(IEFL)، والمجلة العلمية لجامعة زابل الإيرانية. هذه البحوث أجريت ميدانياً في أهمّية اللغة الأم والتعددية اللغوية وتأثيرهما في فك شفرات القدرة الذهنية لدى الفرد(العربي، التركي، الكردي) المتعدد اللغات وأكدت الدور الرئيسي الإيجابي الذي تقدّمه اللغة الأم وفنّدت هتافات بعضهم غير العلمية التي تنوي إلى إبادة اللغة الأم. في الواقع كانت شرارة تأليف هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ هي هذه المقالات

ودراسة عنوانها "التعددية اللغوية عند الشعوب في إيران وتأثيرها في دائرة الانتباه". أهم ما جاء في هذه الدراسات:

- اللغة الأم هي الأولى في عملية تطور الطفل نفسياً ودماغياً.
- الذين يتكلمون لغتين أو ثلاثاً أنجح بكثير في عملية التركيز على القضايا والمهام، من الذين يتكلمون لغة واحدة.
- الأهوازيون الذين يتكلمون العربية في كونها لغةَ أمٍ لهم والفارسية لغةً ثانيةً والإنجليزية لغةً ثالثةً تفوقوا على ذوي اللغة الواحدة(الفارسية) في اختبارات دماغية عدة.
- الطفل الذي يتعلم لغته الأم أولاً ثم لغة أو لغات أخرى يتفوق على أقرانه ذوي اللغة الواحدة في الأداء المدرسي.
- مشاهدة البرامج العربية المعنية بالكبار والأطفال تؤدي دورا هاماً في التأثير على الأفراد، فإلى جانب إكسابهم مهارات الحياة المتعددة فقد تعلمهم هذه البرامج إدراك واستخدام اللغة العربية السليمة كما أن فيها مشاهد وخبرات قد تعجز البيئة الأهوازية أن تقدمها.
- على الأبوين أن يعيرا الانتباه التام لقضية اللغة الأم ويبرمجا لتعزيزها في الأسرة.

# الفصل الثالث
# ماهية اللغة

بذكر مفردة اللغة يتضح لنا مفهومها وبأنها نظام من الإشارات والرموز، وقواعد للارتباط والتواصل والتفاهم. التواصل[٢٣] يدل على عمليات نقل المعلومات واستقبالها وتبادل الآراء والأفكار والمشاعر والقناعات بين الأفراد والجماعات عبر اللغة أو وسائط أخرى وتخدمنا في جميع مجالات حياتنا اليومية ومن دونها يتقلص نشاطنا الفكرى والمعرفي وحتى نشاطنا العاطفي. ففي رأي بعضهم أنها نشأت من العواطف وأنها هي المنطق وأنها هي الأدب وأنها هي الوطن والهُوية بكامل أوجهها.

اللغة كما ورد في تقرير التنمية الإنسانية العربية عام ٢٠٠٣ م، تعد من أبرز عناصر المجتمع الإنساني، وكل حضارة بشرية إلّا وصاحبتها نهضة لغوية، وكل صراع بشري يبطن في جوفه صراع لغويّ، فاللغة هي المنظار الذي بهِ يدرك الإنسان عالمه وثقافته، وهي العامل الحاسم الذي تكوّن هُوية هذا الإنسان ويعطي المجتمع الذي يعيش فيه الفرد طابعه الخاص. (الخولي، ٢٠١٧:

---

[23] communication

١). بعبارة أخرى: إنّ في كل لغة تكمن ثقافة عظيمة يستفيد منها البشر ويحمل رايتها أبناؤها وينقلونها من جيل إلى جيل.

اللغة هي في الواقع القدرة المقدّرة في عقل البشر للتعبير عن أغراضه وهي ما يتميز بها عن الحيوان. بواسطتها يمكن للطفل أن يصف قطة رأها في الشارع أو فوق الشجرة، أو ينادي صديقه للعبة "الغُميضة"، يمكن للطالب أن يسأل معلمه سؤالا أشغل ذهنه، يمكن للأديب أن يكتب نصاً ينقل ما في داخله من عواطف وأحاسيس، ويمكن للرسام أن يصف صورةً أو فكرةً ما ويحللها وينقد تفاصيلها وخصائصها. كل هذا يحصل بإعطاء الأوامر من جانب الدماغ لتلك العضلة النشطة في فمنا وتركيب الحروف والعبارات والجملات بترتيب خاص ومبسط لإيصال الفكرة.

تذكر الكاتبة رحاب البلد أن اللغة وعاء الفكر أي إننا نفكر عن طريق اللغة، فهي التي تصنع أفكارنا وتشكلها، بل الفكر هو وليد اللغة ثم إنّه يسود عليها ليطوعها ويطورها فيخلق منها المعاني الجديدة والأفكار المبتكرة. لذلك فإن التطور اللغوي هو أحد أهم عناصر التطور التنموي عند الأطفال. فعندما يكتسب الطفل مفردات لغوية هو في الحقيقة يتملك مادة خامة يمكن بها أن يبدأ في العملية التفكيرية، تلك مقدمة بسيطة حتى نفهم أهمية اللغة في حياة الطفل في بداية عمره، فكل تأخير في مد جسور التفاهم المتبادل مع العالم المحيط به هو تعطيل لانطلاق قدرته الذهنية على التفكير والتفكر والتطوير والإبداع .(رحاب البلد، ٢٠٠٥:١ ).

لتكتمل لدينا الصورة عن ماهية اللغة علينا طرح النظرية التأسيسية والبدائية التي طرحها عالم الألسنية " سوسير[٢٤]"بوصفها نظرية بنيوية للغة والتي تصنف اللغة بأنها أنظمة تركيبية محدودة بقواعد وهذه القواعد تشير إلى علامات خاصة وهذه العلامات الخاصة تشير إلى معانٍ معينة. نعوم تشومسكي[٢٥] أيضاً كان من ضمن المؤيدين الأوائل لهذه النظرية على أن كل اللغات البشرية تجري في نهر هذه النظرية وأنّ العقل البشرى فطرياً يجمع بين العناصر على محل اكتساب اللغة أي ورقة بيضاء كما يسميها تشومسكي(tabula rasa) في دماغ الطفل بغرض تأليف الهجاءات اللفظية والمفردات والعبارات إلى إبداع الجمل المعقدة.

نعوم تشومسكى يُعدّ من اللغويين الذين أعطوا آراءً ثوريةً ومغيرةً في مجال علم اللسانيات الحديث بعد سوسير. يعتقد تشومسكى أن الأطفال يولدون مع القدرة الفطرية على الكلام وأن القواعد والخصائص اللغوية يورثها الطفل من أبويه، فهي مدونة ومكتوبة في لا وعي الإنسان وتعمل البيئة المحاطة بالطفل كمحرك لتعلم اللغة الأم. الطفل يجلب مجموعة محددة من القواعد والمعلومات الخاصة باللغة ويستطيع أن يصنع تركيبات جديدة من الألفاظ. وفقا لنظرية تشومسكي، فإن عملية اكتساب اللغة لا تحدث إلا إذا استنتج الطفل القواعد الضمنية للغة مثل مفاهيم البنية النحوية أو القواعد.

---

[24] Ferdinand de Saussure

[25] Noam Chomsky

من منظار آخر اتّجه بعض اللغويين إلى القول بأن اللغة نظام للتواصل يمكن أن نتبادل به كلاماً باللفظ أو بالرمز يؤدي إلينا غرضاً اجتماعياً للتعبير عن النفس ويعتقد كثيرٌ من الباحثين أنّ اللغة أنْشِئت لتسديد وظائف تواصلية واجتماعية محددة ودرسوا الأمكنة المختلفة والمخصصة باللغة في الدماغ البشري ولا سيما المنطقتين الأكثر تفاعلاً حين استخدام البشر اللغة وهما المنطقتان بروكا وفيرنيك. باحة بروكا هي منطقة تقع في الفص الأمامي من الجانب الأيسر للمخ البشري. هذه المنطقة مرتبطة بإنتاج الكلام وهي مسؤولة عن تنفيذ عملية الكلام. منطقة فيرنيك جزء من الجزئين المرتبطين بالقشرة الدماغية للتحدث وهي واقعة في الجزء الخلفي. ويتضمن هذا الجزء استيعاب اللغة المنطوقة والمكتوبة وينتج تلف هذه المنطقة إلى عدم استقبال الكلام واستيعابه وعدم التحدث بطلاقة. ولذلك تتعامل منطقة فيرنيك مع الكلام الوارد في حين تتعامل بروكا مع الكلام الصادر وهكذا يجري التواصل بين البشر[٢٦]. (الصورة رقم ١)

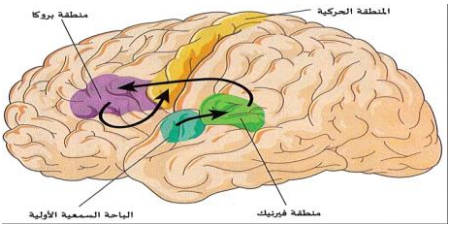


الصورة رقم١

[26] ١ تسبب المشكلات المرضية في منطقة بروكا اضطراباً أي حبسة في اللغة التعبيرية فيكون الشخص قادرا على فهم الكلام لكنه غير قادر على إيجاد الألفاظ المناسبة للتعبير وتسبب الإصابة في منطقة فيرنيك اضطراباً في قدرة الفرد على الفهم اللغوى أي الحبسة الاستقبالية.

بهذه المواصفات نؤكد أن اللغة هبة عظيمة تميز الكائن البشري عما سواه من الكائنات، تُكتَسبْ تدريجياً مع النمو الأول لخلايا الطفل في أشهر عمره الأولى، بفضل لبن الأم، ومن هنا جاء مصطلح اللغة الأم الذي يُطلق دائماً على اللغة التي تلقاها الإنسان بفطرته وغريزته، وتعلمها كما تعلم الأكل والشرب والمشي، ربما دون جهد إرادي منه، ولكن بالاستجابة الغريزية لدوافع البقاء والتحضر. (خولي، ٢٠١٧: ٣). ولهذا فإن لغة الفرد تصبح جزءًا لا يتجزأ من شخصية صاحبها، وتظل حتى وإن زاحمتها لغات أخرى فيما بعد، هي أقرب اللغات إلى التعبير عن الخلجات الدقيقة على اختلاف ميادين الإرسال والاستقبال.

من المؤكد أن اللغة تلهم التفاعل الاجتماعي في الطفولة وحتى في رحم الأم تلهم الإنسان اللغة المنشودة؛ فالطفل وهو يعيش في رحم أمه يسمع صوت والديه ومن يتكلم حوله.

ما أكده اللغويون بعد دراساتهم أن السبب وراء هدوء الطفل المولود حديثاً في حضن أمه هو أن الطفل وهو في الرحم يبدأ بالاستماع إلى الأصوات التي حوله مثل صوت دقات قلب أمه وصوت دخول الهواء إلى الرئتين ويستشعر الرموز الهجائية التي تستخدم في البئية حوله خارج رحم الأم فيصبح صوت الأم مألوفاً ومسموعاً ومثبوتاً في سبورة دماغ الطفل البيضاء حتى وأثبت الباحثون في علم اللغة بأن نغمة بكاء الطفل تتألف بحسب اللغة الأم؛ لهذا نستطيع أن نقول بأن لغة الطفل متأصلة ومتجذرة منذ الشهر السادس للطفل في رحم أمه أو بالأحرى منذ نشأة الدماغ والأذنين.

كلارك يشير إلى الجانب الاجتماعي للغة ويذكر أن اللغة أي هذه الإشارات والرموز هي نشاط اجتماعي أو نوع من عمل مشترك تتواصل فيه البشر للوصول إلى غاية معينة.(كلارك، ١٩٩٦). نحن لا نتكلم ولا نكتب عبثاً نحن نتكلم ونكتب لنتواصل ونتأكد صحةَ تواصلنا واستقبالنا لآراء الآخرين. يعد الإنسان كائناً اجتماعياً ويبقى اجتماعياً وبرجوعنا إلى الماضي لا نستطيع أن نبرهن أن في حقبة من الزمان كان البشر يعيشون حياة منفردة. فالحياة الاجتماعية لمختلف الأطياف والشعوب بحاجة إلى لغة للتواصل المستمر وللتعبير عن الحاجات فتبقى النظرية الاجتماعية للغة هي الركيزة أكثر إثارةً ودراسةً من بقية النظريات.

إذن اللغة أداة تواصل وتفاهم وتحتوي على هجاءات لفظية وعبارات وجمل للدلالة على أشياء موجودة أو غير موجودة. (ريجاردز وإشميت،٢٠٠٢: ١٦٠ ). في الواقع هذه النبرات الصوتية المكونة من حروف ورموز يتقن نطقها مجموعة من الأفراد المشتركين في ثقافة معينة.

تشير الإحصائيات الموجودة إلى انتشار وتوسع اللغات بين البشر لسبب حاجة البشر إلى التواصل. الباحثون القدماء أشاروا إلى مواكبة جذور اللغة مع جذور الأدوات و يشير بعضهم إلى إلهام البشر اللغة من الطبيعة والبيئة المحاطة به ويشير بعضهم الآخر إلى الإلهام الرباني مستنداً إلى الآية الكريمة "وعلّم آدم الأسماء كلها" (آية ٣١ سورة البقرة) ويقولون إنّ المراد من "الأسماء" اللغة، وإنّ أول من تكلم باللغات من البشر هو آدم عليه السلام.[٢٧]

[27] https://bisatahmadi.com

يمكننا القول إن كل الحيوانات تبرز حالاتها النفسية والجسمية كالجوع والعطش والغضب والخوف والألم وغيرها بأصوات وحركات تعكس هذه الحالات وهذه تعد أداة للتواصل والتفاهم بين هذه الكائنات. أما البشر فهو الوحيد على هذه الكرة الأرضية الذي يستطيع أن يستخدم قوته الناطقة ليعكس أفكاره ومفاهيمه التجريدية وغير التجريدية ويتواصل مع أقرانه.

إذن لوجود الإنسان علاقة مباشرة مع أصل اللغة. واللغة في الحقيقة هي التي تلبي حاجات الإنسان. من منظار آخر؛ اللغة هي البيت والسكن لأي إنسان، موهبة للإنسان ليضمن وجوده وحياته وتاريخه.

عالمنا يحتوي على الآلاف من اللغات، بعضها كثيرة الحروف والهجاءات وبعضها قليلة الحروف والهجاءات، بعضها بليغة وبعضها غير بليغة، بعضها مرحب بها وبعضها مهجورة. منظمة اليونسكو قدّرت أن عدد اللغات الموجودة والحية في العالم نحو ٧١٠٥ لغة، لأفريقيا منها ٢١٩٤ لغة، أي ٣٠بالمئة، ولآسيا ٢٣٠٤ لغة، أي ٤٠ بالمئة، وللقارة الأميركية ١٠٦٠ لغة منها، وجزر الأوقيانوس ١٣١١ لغة، في حين القارة الأوروبية لا يزيد عدد لغاتها على ٢٨٤ لغة بحسب إحصاء المؤسسة الصيفية للغات .*sil* تتوزع هذه اللغات وفقا للبلدان التي تتحدث فيها أو في جغرافيتها المحددة. بعض اللغات يستخدمها مئات الملايين من البشر وبعضها لا يتجاوز عدد مستخدميها أصابع اليد وهناك لغة في المكزيك على وشك الانقراض يتكلمها شخصان فقط. أو مثلا كان تقريرٌ في الستينيات ينص أن هناك لغة ما في أمريكا الشمالية للهنود الحمر يتكلمها عجوزان شقيقتان فقط. (هاردينج و رايلي، ١٩٨٦: ٣٧).

# الفصل الرابع
# اللغة الأم

وُصفت اللغة الأولى التي يتعلمها الطفل بالأم؛ لأنها تعد بمنزلة الأم لديه وهذه اللغة هي بالذات اللغة التي سمعها وهو في بطن أمه ورضعها من ألبانها، وإنها تجري مجرى الدم في عروقه فتمتزج بلحمه وعظمه، وتكوّن شخصيته الحقيقية وانتماءه إلى شعبه وعرقه وتجعله في إطار ثقافته وهويته. اللغة الأم لأمة ما أو جغرافية ما قد تكون هي اللغة الرسمية[٢٨] المهيمنة في تلك الجغرافيا، أو تأتي في الجانبِ المواجهِ للغة الرسمية.

مقدمةً للبحث يمكن القول إن اللغة الأم هي عنوان الفرد؛ فلا يمكننا الحديث في اللغة الأم وأهميتها دون أن نتحدث في هُوية الفرد وسوف ندرس علاقتهما في الفصل الخامس من هذا الكتاب. دائرة الفن والثقافة في النرويج المهتمة بهذا الشأن تعرف اللغة الأم بأنها اللغة التي يفكر ويحلم بها الإنسان. واللغة التي يحكم بها كيانه ويستطيع أن يعبر بها عن وجوده بها وهي الأصدق لديه. وآخرون ربطوا اللغة الأم لأي أمة بتاريخ تلك الأمة. (عبود،٢٠١٤: المقدمة). ويذكر ناجي عبود أنّ الأمة التي تنسى لغتها تكون قد فقدت شعورها بذاتها

---

[28] official language

وأصبحت في حالة سبات إن لم تفقد الحياة. وتستطيع هذه الأمة أن تستعيد وعيها وشعورها بالعودة إلى تاريخها القومي وبالاهتمام به اهتماماً وافياً؛ لأنها إذا فقدت لغتها تكون عندئذ قد فقدت الحياة ودخلت في عداد الموتى فلا يبقى سبيل إلى عودتها إلى الحياة إضافةً إلى استعادتها الوعي والشعور. ذلك لأن الأمة كائن اجتماعي يتصف بالحياة والشعور وحياة الأمة بلغتها وشعورها بتاريخها. نعم، بالتأكيد أن اللغة الأم مستودع شعوري رهيب يحمل كل خصائص الأمة وتصوراتها وتاريخها وهي التي تقود حضارة تلك الأمة وتعرّفها للعالم الذي يحيط بها.

هناك تعاريف كثيرة لمصطلح اللغة الأم تداولنا بعضها في بحثنا هذا. كلمة الأم في هذا المصطلح توحي وتوضح لنا طبيعته، فهي لغة التواصل بين الأم وطفلها وهي بالتأكيد اسم على مسمى. الأم تتعهد لطفلها بالرعاية العاطفية، وبذلك يقضي الطفل معظم وقته مع الأم ويتلقى منها معظم تعليمه الأول، لذلك تؤدّي الأم دوراً كبيراً في حياة الطفل. وحاجة الطفل كبيرة إلى تواصل السليم والمتبادل معه بلغة سمعها وهو في بطن أمه وتعوّدها لتتم تلبية احتياجاته الأساسية (رحاب البلد، ٢٠٠٥: ٢).

إن اللغة الأم هي اللغة التي يستقيها المولود بعد ولادته رويداً رويداً واللغات الأخرى التي يتعلمها تعد لغاتٍ ثانيةً وثالثةً وتختلف كثيراً عن اللغة الأولى في طريقة تعلمها وإحساسه تجاهها. ما يثير الجدل هو كيف يمكن للمولود الجديد أن يتخصص في خلق الألفاظ بسهولة حتى قبل أن تكتمل مناطق الإدراك في دماغه. هذا ما تطرق إليه نعوم تشومسكى وباحثون آخرون.

الإنسان يولد مع لغته الأم والعناصر المحيطة به تعمل كمحركات وحوافز تشغّل هذه الطاقة الناطقة. بعضهم يصف اللغة الأم بالجلد الذي يغطي جسم الإنسان واللغة الأجنبية أي المستوردة كسروال "الجينز" يلبسه الفرد ويتعوّده شيئا فشيئا لكنها لا تأخذ مكانة اللغة الأم؛ لأنها الجلد المغطي للجسم فهي بمنزلة عضو مهم لهيكل الإنسان لا يعوض. لتتضح الصورة عند القارئ، مثلاً اللغة الفارسية في البيئة العربية الأهوازية، تُعدّ اللباس الذي يمكننا أن نخيطه على مقاييس جسمنا ويمكننا أن نغيره بلباس جديد عندما شئنا ويعد وجهً آخر على جلدنا واللغة العربية هي الجلد المغطي لجسمنا. فحريٌّ بالذكر أنّ الانصراف من حضرة اللغة الأم ونسيانها هو في الواقع ترك ونسيان لعضوٍ أساسيٍ من الجسم.

ربما نبالغ إذا قلنا إن اللغة الأم مرتبطة بوجود الإنسان وهي معقودة في الخلايا الجذعية أي في جوهرة كل إنسان لكنها يجب أن تتبلور بفضل التوعية المستمرة. تعلم اللغة الأم لا ينفصل تماماً عن تعلم تراث تلك اللغة وماضيها وما تحتويه من أفكار وقيم وعادات وتقاليد وسلوكيات؛ فالطفل يكتسب اللغة ويتشرب منها مضامين اجتماعية كثيرة مثل العواطف والأحاسيس والميول ويستطيع أن يشعر بالنشوة والألم، بالحب والكراهية، وبالعداء والصداقة، ويستطيع أن يتفاعل بها مع كل هذه الأحاسيس. على سبيل المثال، الفرد العربي لا يستطيع أن يظهر مدى حبه لحبيبته إلّا بقول –أحبك- باللغة العربية. اللغة هي الفكر فإذا لم يشعر الفرد بذلك الفكر المقصود ولم يتمثل به فإن الألفاظ التي يستخدمها تكون دون طعم.

نظريات وأطروحات كثيرة أثبتت معرفة الطفل بلغته الأم قبل أن يولد وقدم الباحثون إجاباتهم بقولهم: إن الجنين يسمع الأصوات بدءاً من منتصف الشهر الرابع ويدركها خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة وسيكون صوت الأم الصوت الأكثر كثافة في محيطه، وعند اكتمال حاسة السمع لديه، سيبدأ بالتعرف إلى المؤثرات خارج رحم الأم، كالضجيج وأصوات الأفراد المحيطين بالأم[٢٩]. فحينما يولد يبكي ويصرخ ويفزع وإذا تكلم معه أحد بلغته الأم المألوفة المسموعة يصمت الطفل لينصت إلى ما يدور حوله. فتجده مع مرور الوقت وتكملة عملية السمع وجلب الأصوات المحاطه يتعلم لغته الأم شيئاً فشيئاً بانتظام أو غير منظم. بعدها يمكنه أن يلفظ عبارات وتركيبات جديدة مقلداً الأفراد الذين يحيطون به ليعكس ما في وجوده من إحساس ومشاعر. فهو يتواصل مع مجتمعه بهذه اللغة، يضحك بهذه اللغة، يبكي بهذه اللغة، ويحاور ويصارع ويدافع عن حقه بهذه اللغة. في غالب الأحيان الطفل العربي لا يستطيع أن يعبر عن نفسه حق التعبير إلا إذا استخدم لغته التي تجري كجريان الدم في عروقه. هنا يأتي الأمان التام في التعبير عن المشاعر وهنا يترك العزلة والخجل مع استخدامه لغته الحبيبة في المجتمع والمدرسة والأسرة.

لم تكن اللغة الأم موضع اهتمام رغم الدراسات العلمية العديدة التي أثبتت حاجتها إلى ديمومة حياة الطفل السليمة، لكن بدأ اهتمام الحقوقيين بقضايا اللغات الأم عند الأقليات المضطهدة بعد الحركة المعروفة بحركة "اللغة

---

[29] كيف تتحدث إلى طفلك قبل الولادة (apataclub.co.uk )

البنغالية" في بنغلاديش عام ١٩٤٨ حينما فَرضت الحكومة الباكستانية اللغة الوطنية الوحيدة للبلاد (الأردية) ما أثار احتجاجاً واسعاً ونزاعات عرقية للأغلبية المتحدثة باللغة البنغالية. ألهمت هذه الحادثة مسؤولي منظمة اليونسكو والحقوقيين أن يهتمّوا بالأمر، فأعلنوا ترسيمَ تاريخ ٢١ فبراير من كلّ سنة يوماً عالميا للغة الأم بدءاً من عام ٢٠٠٠ لحفظ التعددية اللغوية وترغيب الشعوب لإحياء لغتهم الأم في الأسرة والمدرسة والمجتمع. اتّخذ كثيرٌ من الأقليات المضطهدة ثقافياً ولغوياً في جميع أنحاء العالم ومن ضمنها الشعوب في إيران هذا اليوم يوماً وطنياً يحتفون به ويطالبون بإحياء تعلّم لغتهم القومية في المدارس. حتى وطالب بعض مندوبي المجلس الوطني في إيران بالاحتفاء بهذا اليوم المميز في إيران.

## أهمية تعلم اللغة الأم

هناك أكثر من قانون في المواثيق الدولية يدعم التعليم باللغة الأم. نموذجاً نشير إلى المبدأ التاسع من إعلان حقوق الطفل لعام ١٩٥٩ الذي ينص على حق الطفل في تلقي التعليم بلغته الأم بلا استثناء وأن يتمتع بهذا الحق دون أي تمييز بسبب الجنس أو اللون أو الدين أو الأصل القومي أو الاجتماعي. في الدستور الإيراني أيضاً تنص المادة ١٩ أنّ " أفراد الشعب الإيراني من أي قومية أو فئة كانوا، يتمتعون بالمساواة في الحقوق ولا يعد اللون أو العنصر أو اللغة أو ما شابه ذلك سبباً للتفاضل".[٣٠] غاية هذه المواثيق رفع المستوى

[30] الدستور الإيراني، المادة ١٩

الإدراكي للطفل وحصوله على كل الفرص المتاحة له دون عقبات أو أزمات النفسية.

نتائج دراسات عديدة تؤكد أن لا يجوز تعلم لغة ثانية على حساب اللغة الأم وستتطرق الدراسة إليها في الفصل القادم، فهذا الأمر يهدر مواهب الطفل المعرفية، ولا بُدّ من إعطاء الأولوية لتعليم اللغة الأم في السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل. إذ هي المدة الحساسة حيث يُتقن فيها اللغة الأولية وتكوين الهويّة، وقد نبّه التربويون بدءاً من أفلاطون وحتى أعمدة التربية الحديثة إلى ضرورة الاهتمام ببيئة الطفل في سنواته الخمس الأولى وذلك لسرعة تأثره بما يحيط به وبراعته في ما يسمعه من الألفاظ والعبارات وتقليد ما يراه من حركات وإيماءات. فعندما يلتحق الطفل بالروضة أو المدرسة يكون قد تعلم فنون التواصل على نحو أفضل متكئاً على لغته الأم . (سليمان أحمد،٢٠١٤ :٨). ويبدو أن ابن خلدون كان متيقظاً لأهمية مرحلة الطفولة في ترسيخ اللغة الأولى وأنّ من الضروري أن يتشبع الطفل بلغته الأم؛ فما يكتسبه الطفل خلال سنوات تعليمه الأولى أشد رسوخاً وهو الأصل وهو القريب للقلوب. إذن، الملامح الأساسية للشخصية ترتسم خلال السنوات الأولى من الطفولة بواسطة الثقافة ومن هنا صاغ كثيرٌ من العلماء ككاردنير وتبعه رالف لينتون مفهوم الشخصية الأساسية، فما يتلقاه الطفل هو كالقاعدة أو الأساس(بعلبكي وآخرون،٢٠١١: ١٥٢). فحرمان الطفل من التعلم باللغة الأم يدمّر مواهب الطفل المعرفية والعاطفية والهُووّية. لا بُدّ من رفض الانصهار القهري والاختياري وإعطاء الأولوية لتعليم اللغة الأم في

**السنوات الخمس الأولى** من حياة الطفل وتحبيبها إليه بطرائق متعددة وأن نظهر له مواطن الجمال والروعة في هذه اللغة الخالدة باستخدامها في كل حديث وحوار وقراءة القصص العربية المتعددة له، بعدها تستطيع الأسرة أن تبدأ بتعليم الطفل لغة ثانية. والحقيقة أن أول خطوة تتخذها الأمهات خاصةً لتحبيب اللغة الأم هي أن تبدأ الأم بتعليم اللغة المقصودة قبل أن ترى عين الطفل أول ضوء في الدنيا أي تبدأ بذلك وهو ما يزال جنيناً في ظلمة الرحم. هنا لا بُدّ من الإشارة إلى المدة الزمنية الحرجة[٣١] التي تكلم فيها كثيرٌ من اللغويين كبنفيلد ولامار ولنبرغ، وقد أثبتوا نتيجةً لدراستهم الميدانية على أطفال كثيرين أن السنوات الأولى من حياة الطفل تعد المدة الرئيسية لتعليم وتعزيز اللغة أو اللغات وهي أخصب مراحل عمره. في هذه المرحلة دماغ الطفل يمر في حالة تنبيه اللغة بتجربة مباشره. بعبارة أخرى خلال هذه المدة يكون من السهل للطفل تعلم اللغة وهي المدة من الليونة الدماغية يعد الطفل فيها إسفنجاً للغات. بعد هذه المدة يصعب على الطفل أن يتعلم اللغة جيداً. (روبرت سيغلر،٢٠٠٦:دص). هذه المدة من حياة الطفل ذات أهمية فائقة ويدعو الباحثون في مجال اللسانيات الآباء والأمهات إلى التكلم والغناء والضحك واللعب باللغة الأم؛ لأنها الأفضل في تلبية عواطف الطفل.

وتوصل الباحثون في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وجامعة هارفارد الأميركيتين إلى هذه النتائج التي نشروها بمجلة" كوغنيشن جورنال" ونشرها موقع الجزيرة (Aljazeera.net, 2018) بعد أن درسوا نتائج اختبار قواعد اللغة

---

[31] critical period

الذي أتمّه ما يقارب من ٦٧٠ ألف مشارك، وهي أكبر مجموعة بيانات على الإطلاق في اللغة والتعلم. توصلت هذه الدراسات الجديدة إلى أنه من الأفضل بالنسبة إلى الأطفال أن يبدأوا تعلم لغة جديدة عند سن العاشرة، ويهتموا باللغة الأم قبل سن العاشرة، فعلى الأطفال ألاّ يبتعدوا عن اللغة الأم وألاّ يتركوها وذلك كي يستطيعوا أن يحصلوا على المستوى المطلوب في لغتهم الأم. وتشير الأدلة (بحسب المقال الذي كتبته كشميرا غاندر ونشرته مجلة نيوزويك الأميركية) أنّ على الطفل تعلّم لغته الأم وإتقانها في السنين الأولى من عمره حتى لا تفوته المدة الزمنية الحرجة.

ويرى العلماء المهتمّون أنه حينما يستمر الأطفال في التعلم بسرعة بعد سن العاشرة، فإنهم لا يتمكنون من إجادة اللغة الجديدة بطلاقة مع تقدم العمر. إذن كلما تقدم الأطفال بالسن ينخفض مستوى مهارتهم لتعلم لغة جديدة بإتقان. ويعتقد العلماء أنّ قدراتهم التعليمية تبدأ بالضعف عند سن السابعة عشر من أعمارهم ، وذلك بالمقارنة مع أولئك الذين يحاولون اكتساب المهارات ذاتها في مدة الطفولة. ويشير الأستاذ "جوشوا هارتشورن" إن اللغة يمكن إتقانها إلى حدٍ كبيرٍ قبل سن المراهقة فعلى الأبوين أن يهتما بها حق الاهتمام ولا ينزعانها من الأطفال لصالح أي لغة أخرى فهذه أفضل لغة تعبر عن حب الأبوين للطفل ولمشاعرهما المختلفة. وعلمياً فقد ثبت أن الطفل الذي يجيد لغته الأم تماماً، أكثر قدرةً على تعلّم لغة أجنبية. وخلص علماء اللغويات وفقاً لموقع كوزمو، إلى أنه من الضروري أن يجيد الطفل في سنواته عمره الأولى، لغته الأم على نحو جيد؛ لأن هذا هو الذي سيسهل عليه

بعد ذلك تعلم لغة ثانية دون مشكلات[٣٢]. ويتمتع الطفل بالمقدرة على تعلم لغتين أو ثلاث لغات بسهولة حتى يصل إلى سن المدرسة، لذا فالأم العربية الأهوازية غير مضطرة إلى الحديث بالفارسية (غير السليمة غالباً) مع طفلها في سنواته الأولى وينبغي أن تعلمه لغته، فلغته لن تؤثر سلباً في قدراته على اكتساب لغات أجنبية جديدة بل تنمّي تلك القدرات.

أن يحرم الطفل من التعلم بلغته الأم يعد من أبشع الحالات لتضييع حق بشريّ كبير ومهم. تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة جداً وهي أن دوبروفسكي (٢٠٠١) وآخرون يذكرون أن لا أحد يعارض تعليم الأطفال لغةً ثانيةً أو ثالثةً أو أكثر لكن لتبدأ عملية تعليم اللغات الأخرى بعد اللغة الأم وترسيخها كاملة في أذهانهم. إذن يمكننا أن نصور الإنسان الأهوازي المتكامل كبناءٍ تراكميّ أساسه اللغة العربية بكل محتوياتها، وما يليها من لغات تُعد المقوّمات الأخرى.

من المفيد أيضاً أن يجعل الأبوان الطفلَ عرضةً للغة الأم مما يضمن لهم أن الطفل يتلقى الصوتيات السليمة للغة ويفكر ويتحدث بلغته الأصلية بطلاقة، معتمدين على أن لغة البيئة أي اللغة الثانية (الرسمية عند السلطة) سيلتقطها الطفل على أي حال حين خروجه إلى المجتمع واحتكاكه مع أقرانه سواء في الشارع أو المدرسة. (رحاب البلد، ٢٠٠٥: ٢).

---

32 أكاديمية DW.com

## من الأسرة إلى المدرسة

إيران تعد البلد الأكثر تنوعاً من حيث اللغة والشعوب في الشرق الأوسط وإحدى البلدان المتنوعة من حيث القوميات في العالم. (خجسته،٢٠٠٧ :٣٤). هذه التعددية اللغوية والثقافية لم تكن موقع اهتمام وباتت كلها ضحية للغة الرسمية المهيمنة على باقي اللغات. الناشطون الاجتماعيون من أبناء الشعوب غير الفارسية في إيران يعتقدون أن اللغة الأم من الركائز المصيرية بالنسبة إلي هذه الشعوب التي تعيش في أراضيها منذ آلاف السنين.

عدد الطلاب من أبناء وبنات القوميات" ثنائيي اللغة المتتابعة" كثير جداً وهذه القوميات تعاني مشاكلَ عدة منها استعمال اللغة الثانية أي الفارسية في تواصلهم اللغوي مع الآخرين. أحد الأسباب الرئيسة في عدم إتقان اللغة الفارسية لدى الأطفال هو النظام التعليمي. إن عملية التعليم هي بالأجدر لخلق الدوافع وايجاد الرغبة والعمل المستدام للوصول إلى المعرفة وهذا يحتم وجود نظام تعليمي مبني على أساس اللغة الأم. نظام التعليم في إيران ينقصه كثيرٌوالقضية المهمة أنه مدوّن ومنصوص على أساس متلقين أحاديي اللغة ودوِّنتْ الكتب المدرسية بناءً على متطلبات المدن الفارسية المركزية غالباً، ما يؤدي أن تكون هذه الكتب هي عبارة عن قواميس مفيدة للاستشارة؛ لأنها لا تنمّي روح المبادرة عند أبناء القوميات غير الفارسية. كل الكتب الدراسية كتبت باللغة الفارسية ولا يوجد كتاب درسي واحد كتب بلغات القوميات الموجودة في إيران وثقافاتهم (تركي، كردي، عربي، تركماني، جيلكي و..)، فهذه الشعوب لا تتعلم لغاتها آكاديمياً بل ينحصر استعمال تلك

اللغات في المنزل فقط. فلهذا نرى المدن الفارسية، خاصةً المركزية مثل: يزد وإصفهان وطهران ووفق إحصائيات وزارة التربية والتعليم متفوقةً في كثيرٍ من الدروس وفي اختبارات الجامعات مقارنة مع المدن الحدودية التي تقطنها الشعوب غير الفارسية.

في كل العالم، عادةً ما بداية العام الدراسي للطفل يوم تاريخي في حياته وهو ينتظر هذا اليوم بفارغ الصبر. إنها نقطة البداية في رحلة الطفل التعليمية الرسمية وقد تؤثر في مستقبله التعليمي أجمعه إلى حدٍ كبير. هذا هو اليوم الذي يأمل فيه أن يرى معلمه ويتواصل معه ويتعلم الكتابة والقراءة ويتعرف إلى أقران جدد يمكنه التواصل معهم. لكن في أغلب الأحيان هناك مفاجأة سوداء الملامح تنتظره وهو يدخل البيئة المدرسية الجديدة.

من الملاحظ أن التلميذ يتحول من مجتمع المنزل إلى المدرسة، وتعد هذه العملية عملية فطام جديدة حيث ينتقل من بيئة لغوية صغيرة وهي الأسرة إلى بيئة لغوية أكبر كالمدرسة، يعاني في بدايتها ما كان يعانيه عند الفطام عن الرضاع من آلام نفسية وبدنية. (أحمد ،٢٠١٤ :٩). فلحظة وصوله إلى المدرسة تبدأ إبادته لإعادة خلقه من جديد. في تقرير سنوي للهيئة الخاصة بقضية السكان الأصليين في أمريكا لفت انتباه الباحث وصفاً لحالة الأطفال في أول يومهم المدرسي في المدارس الأمريكية وهي حالة تشبه حالة الطفل العربي عندما يبدأ عامه الدراسي في معظم مدارس الأهواز، فالتقرير ينص: يجلس هؤلاء الأطفال أي التلاميذ أمامك خرسان لا يفهمون كلمة مما تقول، ولا يقولون كلمة مما تفهم. وجوههم الحزينة البريئة مسكونة بمشاعر الشوق إلى الأهل والبيت فكل شيء يبدو غريباً في أعينهم. إنهم لا يفهمون لغتك كما أنك

لا تفهم لغتهم. يراقبون كل نظرة من نظراتك وكل حركة من حركاتك. أنت (المعلم) تبتسم وتقول "صباح الخير"، وهم يبتسمون ببأس حزين ولا يردون تحية الصباح. ثم تلجأ إلى سلسلة طويلة من الحركات والإشارات التي قد يفهمون بها أخيراً أن عليهم أن يردوا التحية. وما أن يلفظوا التحية بلغة أخرى غير لغتهم الأم بصعوبة حتى تنفتح لهم بوابة على طريق إنسان آخر.[٣٣]

إذن الانتقال من محيط اللغة الأم (اللغة العربية في النموذج الأهوازي) إلى محيط غير مألوف بحد ذاته تجربة قاسية من الناحية العاطفية بالنسبة إلى الطفل الأهوازي، حيث يبتعد ولو لساعات عن المحيط الآمن في البيت ويصبح من الصعب عليه قبول ضغط جديد يتمثل باستعماله لغة ثانية غير لغته الأم التي اعتادها، وتمكن من التواصل خلالها واستأنس مع كل ما يحيط بها من ثقافة. يتعلم الطفل عندما يرتاح ويعبئ نفسه عاطفياً ويواجه اللغة التي اكتسبها وتعلمها في البيت، حيث يجعل ما يتعلمه الطفل ذا معنى أكثر. (بشور، ٢٠١٤: ١٥).

الطفل الأهوازي لا يعرف نوعية الصف والمدرسين والأطفال الآخرين والكتب والأدوات الخاصة بعملية التعليم، فيرى نفسه في مناخ خارج عمّا اعتاده من قبل تماماً، مناخ لم يكن له وجود حقيقي في عالمه الذي نشأ فيه ولا وجود للغة التي كانت تدير لسانه وأسوأ من ذلك أن التكلم بها يعد جريمة تضر وتؤخر عملية التعلّم وتقلص مستوى ذكائه. فهو لا يفهم معظم خطبة المدرس وينضجر وينام. ونلاحظ أن الطفل العربي محروم من غالبية

---

33 التقرير السنوي للهيئة الخاصة بقضية الهنود الحمر، عام ١٨٨٤: ص ٢٤١.

الاتصالات الثمينة والعناصر الضرورية القابلة للهضم. هذه هي الحالة منذ عقود بالنسبة إلى أطفال الأهواز وأطفال باقي القوميات في إيران.

لا ريبَ أن حذف لغة الطفل الأصلية لطامّة كبرى تبقيه يئن تحت وطأة تداعياتها. مستوى التعلّم الهابط لدى الأطفال الذين أجبروا على التعلم بلغة غير اللغة الأم وانصهروا وانحلوا فيها، يرجع إلى عدم التوازن الشعوري حين دخولهم بيئة المدرسة التي تختلف كل الاختلاف عما تعوّدته آذانهم. أُثبِتَ أيضاً أنّ الرسوب الدراسي الموجود في بعض البلدان هو غالباً ما نتيجة تعلم الأطفال بلغة غير لغتهم. هذا أمر في غاية الصعوبة للطفل؛ أن يدخل صفاً أو مدرسة ولا يستطيع التواصل مع المعلم والطالب بلغة مشتركة تؤمّن له الثقة بالنفس. هذه اللغة سُلبت منه بقسوة فجأة فتراه يتساءل: لماذا هذه الألفاظ الغريبة على الجدران واليافطات الموجودة في المدرسة؟ لماذا لا أفهم المدرس؟ ماذا يريد هذا الطالب مني؟ ماذا قال المدير هذا الصباح؟ وأسئلة أخرى تحيط بالطفل من كل جانب. هذه المدرسة لا تؤفر للتلميذ الثبات والإرادة وقوة الأعصاب، فبدلاً من أن تؤهله فإنها تنزع عنه معظم كفاءاته التي تخص مستقبله. وبناءً على ذلك فإن خطواته الأولى في المدرسة ليست إلا سلسلة متتالية من السقوط المؤلم فيبقى مهموماً وأحياناً عاجزاً يُرجّح الجلوس في البيت.

أتذكر حينما كنت طفلاً في الصف الأول الابتدائي كنت أفتح الكتاب الفارسي إلى جانب دفتر الإملاء دون استشعار أحد حينما يريد المعلم أن يأخذ اختبار الإملاء. هذا لأني لم أكن أستوعب ما يقوله المدرس رغم توضيحه كثيراً فتحملت كثيراً من الصفعات والضربات حالي حال معظم الأطفال غير الفرس

في ظل هذا النظام التعليمي الأحادي الذي غالباً ما ينتج الساقطين والناقمين لسطحية معلوماته وترداده الببغائي.

ما يتفوه به المدرس وزملاؤه يختلف تماماً عما تعلمه الطفل العربي في السنوات الماضية من عمره. في الأيام الأولى وهي الأيام التي ينبغي للطفل أن يشعر بحب تجاه المدرسة وما تحتوي من أمور يبدأ بالتساؤل وربما يحصل على نتائج عكسية خطرة وهي أن لا قيمة للغته الأم ولا لهُويته أو يشعر شعوراً غير سليم تجاهها ويبدأ ربما باحتقارها واحتقار نفسه أمام اللغة الفارسية المسيطرة. هذا لأن المدرس كلّفه فوق طاقاته عندما طلب منه أن يردد كالببغاء العبارات المنصوصة في الكتب المدرسية البائسة دون أن يشارك أو يناقش أو يعترض على ما يُلقّن. فإنه لا يعود يعرف شيئاً يُذكر؛ لأن أغلية المكتسبات المعرفية التي تلقّاها كانت ثقيلة أكثر مما يجب كونها بعيدة عن لغته الأم فسرعان ما تبخرت. بالمقابل، الطفل الفارسي يرى نفسه منتمياً إلى هذا الصف وإلى هذه المدرسة فيضحك بالفارسية ويسأل بالفارسية ويسمع ويرى بالفارسية ولا يخاف ولا يتراجع حينما يراوده سؤال أو طلب فتراه مفعماً بالثقة.

بعضهم، مؤيداً لما يحدث، يرى أن العولمة هي القوة المطلقة واللغة مجرد أداة للتواصل ولا غير، ولا فرق إذ تقرأ أو تكتب بهذه اللغة أو تلك. هذا منظار ضيق ولا يمتّ إلى العلم بصلة. اللغة الأم تعد البوابة الرئيسية للعقل البشري وبها يستطيع الفرد أن يخلق كلمات معبرة ويمكننا الجزم أيضاً كلّما كانت هذه اللغة حية في الأسرة والمدرسة والمجتمع، زاد الأمل بنجاح ونصرة ذلك

المجتمع. نرى أن كثيراً من الأمم طوال التاريخ سعت للحفاظ على لغاتها قدر المستطاع لأن اللغة هي التاريخ والهُوية والمستقبل، والركيزة التي تحكم كينونة الهُوية، فاللغة ليست أداة تواصل فحسب بل أداة مواجهه في زمن الحركات الوطنية. (علوي وآخرون،٢٠١١: ٣٥). لهذا اهتمّ كثيرٌ من الباحثين وكثيرٌ من النقابات والمؤسسات بقضايا اللغة الأم وخاصةً حق التعلم باللغة الأم.

لكن هل يمكننا أن نمنع أسرةً عربيةً في مجتمعنا ألّا تستخدم اللغة الفارسية وألّا تُضحّي بلغتها العربية؟ ربما الأسرة الأهوازية تجد النفع الأكثر بتعلم اللغة الرسمية وشطب العربية لكنها -في الحقيقة- فقدت وطنها وتاريخها وكل الأفكار والأناشيد وكلمات الحب التي كانت ترددها بالعربية. هذا طبعاً ما كانت تتمناه اللغات المهيمنة كالإنجليزية وحكومتها البريطانية أو الفرنسية المسيطرة مدى العصور على كثيرٍ من الشعوب في مختلف البقاع. والغاية من تعلّم اللغة الأم في مرحلة الطفولة هو اكتساب الثروة اللغوية والتدرب على استعمالها في كونها عنصراً مهماً من شخصية المواطن ومقوّماً أساسياً من مقوماته والإخفاق فيها قد يسبب الإخفاق في الحياة التعليمية.

- نموذج إنشاء لطالب أهوازي في الصف الثامن من المرحلة المتوسطة يؤيد ظاهرة العجز عن اكتساب الكفاءة في اللغة الرسمية. (الصورة رقم ٢).

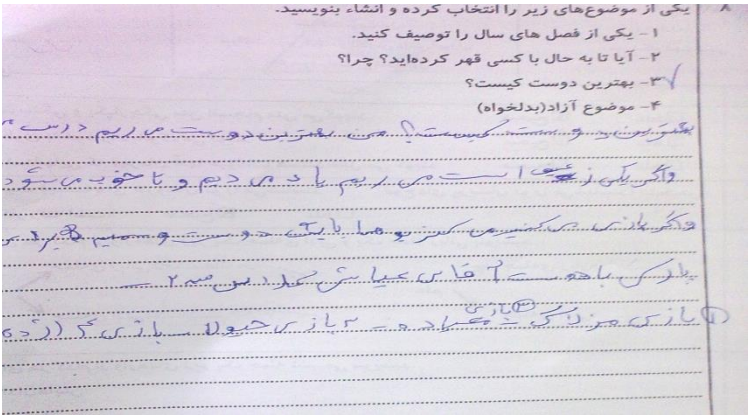
یکی از موضوع‌های زیر را انتخاب کرده و انشاء بنویسید.
۱ - یکی از فصل های سال را توصیف کنید.
۲ - آیا تا به حال با کسی قهر کرده‌اید؟ چرا؟
۳- بهترین دوست کیست؟
۴- موضوع آزاد(بدلخواه)

الصورة رقم ٢

-نموذج آخر لاختبار طالب أهوازي من الصف السابع. (صورة رقم ٣).

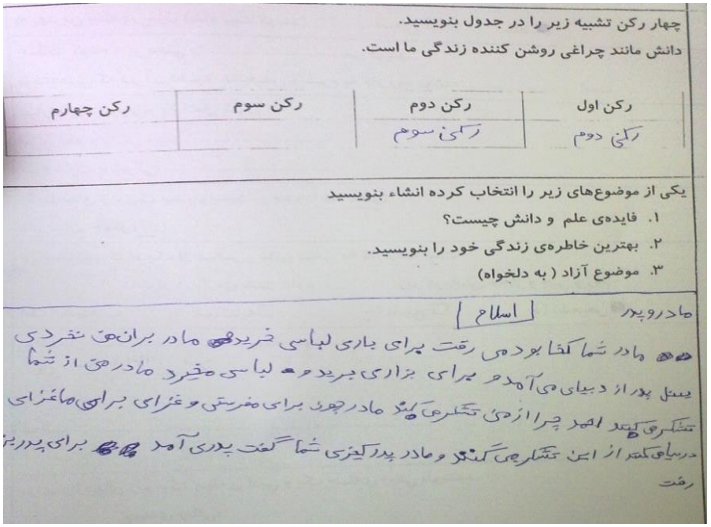
چهار رکن تشبیه زیر را در جدول بنویسید.
دانش مانند چراغی روشن کننده زندگی ما است.

| رکن اول | رکن دوم | رکن سوم | رکن چهارم |
|---|---|---|---|
| رکنی دوم | رکنی سوم | | |

یکی از موضوع‌های زیر را انتخاب کرده انشاء بنویسید
۱. فایده‌ی علم و دانش چیست؟
۲. بهترین خاطره‌ی زندگی خود را بنویسید.
۳. موضوع آزاد ( به دلخواه)

مادر و پدر | اسلام

الصورة رقم ٣

هذه هي الحالة لعدد كبير من الأطفال في الأهواز عند الاختبارات المدرسية، فهم لا يتعلمون المهارات الأساسية مثل القراءة والكتابة وفهم العبارات

والجمل فيرسبون في الامتحانات. في تقرير نشرته منظمة اليونسكو عام ٢٠١٠ على أساس أبحاث أجريت في مناطق عده من العالم أتى أن أطفال الأقليات الإثنية أي السكان الأصليين لبعض المناطق التي تحكمها اللغة الواحدة يدخلون المدارس بأمل نجاح أقلّ بكثير من أقرانهم الذين يتكلمون اللغة الرسمية، فيتركون سلك التعليم مبكراً، ويحصلون على مكاسب هابطة. هذا ويعد الذكاء اللغوي من أكثر أنواع الذكاءات التي حظيت بتقدير عالٍ في المدرسة وذلك لاعتماد المدرسة على مقاييس الذكاء التقليدية، والتي تقدر ذكاء الطفل أساساً على نوعين من الذكاء، هما الذكاء اللغوي و الذكاء الرياضي المنطقي. فالذكاء اللغوي هو المفتاح الرئيسي لنجاح الطفل في الدراسة والحياة حيث يستطيع الطفل من إدراك المفاهيم و المعاني، وإيجاد العلاقات بين الأشياء وتنظيم الأفكار. (دراسات نفسية، ٢٠١٥: ٥٥٤).

ومما ثُبِتَ للباحثين أن التفكير عند الأطفال يرتبط بذكائهم اللغوي أرتباطاً وشيكاً ويمثل هذا الذكاء أكثر من ٨٠% من نسبة النجاح في المدرسة ما يزوّد مستوى الأداء ويطور مهارات التفكير، ويرفع مستوى الفهم، وينمّي مهارة الاستماع ومن دونه يصبح التعليم المدرسي محبطاً ومؤلماً كما يرتفع معدل الفشل لديهم إلى حد واسع على الرغم من كفايتهم في الذكاءات الأخرى كالذكاء الاجتماعي أو الذكاء الرياضي. (دراسات نفسية، ٢٠١٥: ٥٦٥).

اللا مساواة في التعليم في الأهواز أيضاً تلعب دوراً كبيراً يزيح الطالب الأهوازي نحو الهامش أكثر: فأغلبية المدارس في هذه المناطق المهمَلة تقيم برامج وصفوفاً دون المستوى المتعارف عليه في المدارس الإيرانية. في المناطق العربية يدخل الطالب المرحلة المتوسطة وهو لا يتقن القراءة والكتابة باللغة

الفارسية ما يؤثر في تدني مستوى التعليم لدى المعلم. في كثيرٍ من الحالات يكتفي المعلم بإعطاء الطلاب الواجبات ليدبر أمر الصف أو ليقتل الوقت فحسب. من جانب آخر أولئك الذين لا يستطيعون توفير متطلبات الدخول إلى المدرسة أو الأهوازيون الذين ينالون مستوى تعليم متدنٍّ (العدد كبير جداً) قد يكونون غير قادرين على تعلم اللغة الفارسية بقدر الكفاءة التي تؤهلهم للحصول على وظيفة أو المشاركة في مؤسسة حكومية. لبرناشتاين نظرية يقول فيها: هناك علاقة بين الطبقة الاجتماعية للطفل واللغة والتعليم ويؤكد برنشتاين أن الاختلافات اللغوية للأطفال من طبقات اجتماعية مختلفة تؤثر مباشرةً في أدائهم المدرسي. (علاقمند، ١٣٧٦: دص). في هذه البلاد المتعددة اللغات والتي تحكمها لغة واحدة توفر السياسة الوطنية بالظاهر فرصاً متساوية في التعليم إلا أن تحديد عدد أطفال القوميات المقبولين في الجامعات يمنح الامتياز للطبقات المتوسطة والعليا الفارسية أو العربية المنصهرة والتي بإمكانها توفير وتغطية مصاريف الكتب والتعليم الخصوصي وطرائق أخرى لتشجيع الدراسة وهذا يعني أن بعض المجموعات تستفيد بصفة منتظمة أكثر من المجموعات الأخرى.

## دور اللغة الأم في نفسية الطفل الأهوازي

تعد الطفولة من أهم مراحل حياة الفرد وأكثرها حساسيةً وخطورةً؛ في كونها مرحلة تكوينية تتألف فيها كل خصائص شخصية الطفل، وتحدد أبعاد سلوكه ودوافعه التي تلازمه في مستقبله. (شاكر، ٢٠٠٩: ٢١٠). ينمو الطفل

سريعاً في المجالات شتى، وخاصةً في مجال كشف وتقدير الذات وكل الابعاد النفسية والاجتماعية ما يساعد على التكيف السليم مع ذاته. بإمكان الطفل تعلم ما لا يقل عن ٥٠ مفهوماً جديداً كل شهر ليكوّن ثروة هائلة تمكنه من التواصل المطلوب مع الآخرين. فاللغة هنا الأساس لتنمية جميع المهارات الأخرى التي يكتسبها الطفل في مختلف مراحل نموه بخاصة مرحلة ما قبل المدرسة حيث يبدأ بالتفاعل لغوياً مع المعلمين ومع أقرانه. (الناشف، ٢٠٠٨: ٤).

الحياة في ظِل لغة غير اللغة الأم حياة مربكة لا ريبَ، ألا نتذكر أنسنا العظيم وراحتنا النفسية مع أبناء جلدتنا عندما ينشأون كتلة واحدة، في المدرسة أو الجامعة، أو المقهى، أو في الدوام، ينشأون حلقة ذات طابع عربي فسرعان ما ننضمّ إليهم، أن نستوعب تأثير اللغة الأم في التطور العاطفي للفرد وعلاقاته المتحكمة في التواصل الاجتماعي كالثقة بالنفس يرجع في الأساس إلى نظرتنا وتعريفنا للغة الأم. وفي هذا الصدد ينبغي أن نؤكد أن اللغة الوحيدة التي تعطي الطفل الأهوازي الثقة التامة وتريحه بتواصله مع أقرانه وأقربائه هي لغته الأم التي أتقنها جيداً وتكلم بها دون ضغط فكري للبحث عن العبارات المناسبة.

يتمكن الطفل من فهم اللغة والتكلم بها وإتقانها عبر التواصل مع الآخرين ولا سيما أهله، إذ تعد السنوات الأولى من حياته مرحلة حاسمة في تطور قدراته اللغوية. فالحياة الاجتماعية لأي إنسان تبدأ من الأسرة والأقرباء دون أدنى شك والطفل الذي يحرم من التعلّم (والتكلّم) بلغته الأم مع المجتمع الخارجي لا يستطيع أن يرتبط ارتباطاً لغوياً وعاطفياً وثقافياً بصورة

حقيقية، وأن ينتمي إليهم بصفتهم مصدرثقة. نعم، الطفل -بالتأكيد- في هذه الحالة، يفقد شعوره بالانتماء إلى هذه المجموعة الصغيرة "الأسرة" وتليها المجموعة الكبيرة "المجتمع". والباحثون يؤيدون هذا الرأي، فتعلم لغة غير اللغة الأم في سن مبكرة له آثار سلبية جداً في الناشئة -خصوصاً- إذا كانت على حساب اللغة الأم؛ لأنه سيشعر أن لغته لغة جانبية وليست أولوية، إلى جانب ذلك لن يتمكن من إتقان مهاراتها المختلفة، ويظن أنها صعبة وشائكة ومتشعبة إضافة إلى ذلك لن يكون له إنتماء إلى لغته الأم ولن يشعر بأهميتها وأصالتها وقدسيتها، وبالنهاية نجد أننا أمام جيل ناكراً لحضارته ولغته ومجتمعه، نتاجه بالطبع ستكون جيلاً بلا هُويّة.(كورت وآخرون،٢٠١٥: ١٦٤).

في أغلب الأحيان في كونها ظاهرة متداولة في الأهوازنلاحظ أن الأبوين يتكلمان اللغة الفارسية مع الطفل والعربية في ما بينهم. نتيجة الأمر يرى هذا الطفل نفسه منعزلاً عن أمه وأبيه اللذين يتكلمان لغة معه ولغة أخرى فيما بينهم. فالطفل الذي لا يعرف لغته الأم يجد نفسه وسط نزاع لغوي عائلي فيحدث عنده توتر دائم نحو قبول لغة أهله واللغة التي تعلمها جراء سياسة تسعى لتهميش لغته الأصلية. أيضاً هذا الطفل لا يستطيع أن يتواصل مع المجموعة التي تحيط به، فهو لا يفهم حكاياتهم وقصصهم ولا يضحك معهم ولا يبكي معهم. بناءً على ما تطرحه نظرية التعلق[٣٤] يفقد هذا الطفل جلّ تعلقه بأهله حينما يفقد لغته وهو بحاجة ماسة إلى هذا التعلق المفعم بالثقة في السنوات

---

[34] Attachment theory

إحدى نظريات التطور لقد عرّفها الطبيب النفساني بولبي بأنها علاقة عاطفية ثابتة ومتواصلة بين الطفل والمعتني به الذي يمنحه الأمان والحماية.(www.researchgate.net)

الأولى من الطفولة ومنذ نعومة أظافيره. في هذه الحالة -عادةً- نلاحظ الطفل الأهوازي المستفرس قهراً لا يتواصل مع كل المجموعات القريبة منه إلا في ظروف خاصة كالتحية والوداع، والعلاقة سوف تكون رسمية غير ودية كعلاقة الأستاذ بالطالب وخارج نطاق العلاقات السليمة في الأسرة.

وفق الدراسات النفسية هناك إجماع أن الطفل يشعر بكل من الأمن والاستقرار النفسيين، والثقة، والعزة في أحضان أسرته وأقربائه عندما يتواصل معهم لغوياً وعاطفياً ويقترب منهم ويشاركهم كل التفاصيل في أمور الحياة ويأمن في أحضانهم وينام على قصصهم وأناشيد الأمومة التي تتلى عليه حين المنام فهناك دائماً شخص ما يستطيع أن يراجعه الطفل إليه ليستندَ ويسكن إليه حال الحاجة.

بناءً على نمط حياة الفرد الأهوازي نستطيع أن نقول إن شخصية الطفل العربي الأهوازي تتكون نتيجة تواصله الاجتماعي مع الأقرباء. فمن الضروري أن يتعلّم الطفل في سنواته الأولى لغته الأم حتى يتمكن من التعبير عن نفسه وتطوير إدراكاته المعرفية كلها، ويحقق إتقان اللغة بالتكرار والتواصل مع أهله الذين يشكّلون بالنسبة إليه مصدر الأمان النفسي والاجتماعي. (كالين عازار،٢٠١٣: ١). فالشخصية المطمئنة المستقرة وغير المضطربة هي التي لم تفقد هذا الود الموجود في التواصل الاجتماعي السليم. وهذا التواصل السليم لا يكون موجوداً بمعناه الحقيقي في الأهواز إلا في إطار اللغة الأم أي اللغة العربية.

إذن هناك علاقة وشائجية بين اللغة الأم و"التعلق" بها، فالنقصان أو الخلل الذي يسببه الحرمان من اللغة الأم والذي يفتح طريقه في ذهن الطفل

الأهوازي منذ أشهره الأولى يسبّب للطفل نوبة نفسية تحبطه في كثيرٍ من المهارات الإدراكية والذهنية.( هودال، ٢٠٠٥: ٢٨٦). أمّا الأطفال الذين حرموا من الارتباط القريب مع الأقرباء بسبب عدم تعلّمهم اللغة الأم فلا يستطيعون أن يطوروا مراحل الطمأنينة والثقة بالنفس. (خجسته، ٢٠٠٧: ٣٥). فالقريب عائلياً يصبح غريباً لغوياً وإلى حدٍ ما ثقافياً؛ لأن اللغة ذات علاقة وشيكة بالثقافة بل عنصرٌ مهمٌ من عناصرها. بتعليمنا لغة أخرى للطفل غالباً ما يصبح الأب والأم والأقرباء مجرد أناس من نوع آخر. إنّ هذه الظاهرة تمثل خطراً أكبر بكثير؛ لأنها توحي للطفل تقززاً عنيفاً من البيئة التي ولد فيها والرغبة الشديدة في الخروج منها.

يشير الواقع الأهوازي أن إحدى القضايا المهمة في بعض الأسر الأهوازية في الجغرافيا الإيرانية عدم تكلم الأب والأم والأقرباء بلغتهم الأم. ما يدور في أذهان هؤلاء هو التطور الدراسي للأطفال في ظل اللغة الفارسية، لهذا يظن بعضهم ظناً خاطئاً بترك اللغة العربية ونفيها كاملة من حياة الطفل واستبدالها باللغة الفارسية. تميل التصنيفات العلمية بأن كل هذه مجرد شعارات لا أساس لها ؛ شعارات ضيقة الأخلاق وسطحية الفهم وساذجة في إدراك حقيقة الأمر. مجمل البحوث من عام ١٩٤٠ ولحد الآن تقترح عدم ابتعاد الطفل التام عن لغته الأم ويؤكد اللغويون التأثيرات السلبيه المضرة في الصحة النفسية للطفل جراء عزله عن لغته الأم.

لا أحد يعترض على أصل تعلم اللغة الفارسية في الأهواز بصفتها لغة ثانية وأي لغة أخرى إلى جانب اللغة الأم، لكن لا يجوز استبدال تلك اللغة باللغة

الأم. فتَّعلُم الطفل لغة جديدة أمر جيد ولكن إتقانه لغته الأم لا بُدّ أن يكون الحجر الأساس. إضافة إلى ذلك، فإنّ للطفل عالمه الخاص والأطفال يقتدون بأبويهم بصفتهما نماذج مثالية في كثيرٍ من الأخلاقيات والسلوك. ماذا يحدث عندما يرى الطفل والديه يتكلمان العربية مع الآخرين والفارسية معه؟ بهذا التعامل يقول الأبوان للطفل: لا تنصت إلا ما نقوله ونتحاوره مع الآخرين. فلا تكترث لهذه اللغة فهي لا تنفعك بشيء واللغة الفارسية التي تتكلمها هي الأفضل!

إن الأطفال ينظرون إلى القضايا التي تخصهم بطريقة مختلفة. الاستنتاج العقلي الذي يدور في خَلَد الطفل حينئذ هو أنّ اللغة المحلية لا قيمة لها وإنّ أبي وأمي وأقربائي في مقام أدنى من الثقافة المجاورة التي تعلّمت لغتها. فاللغة التي يتكلم بها الأبوان قاصرة، وضعيفة، وعليّ أن أبتعد عنها. هذه الحالة تُفضى إلى إزالة الثقة بين الطفل والأسرة وتسبب فواصل وانشقاقات تواصلية بينهم وبين الثقافة الجديدة وذلك نتيجة هجر اللغة الأم والثقافة المرتبطة بأهل تلك اللغة والمحاولة للالتحام بثقافة أخرى. في بعض الحالات التي سُجلت يظن الطفل في هكذا مجتمعات أنه أفضل من أبيه وأمه وأقربائه فيحاول أن يخبئ كل ما يتعلق بهم وهو مع أقرانه في المجتمع ومن هنا تأتي أزمة الهُوية.

يؤكد العلماء اللغويون هذا الواقع وأنّ هؤلاء الأطفال رغم الذكاء الذاتي وحصولهم ربما على درجات عالية في المدرسة الأحادية اللغة لا يستطيعون أن يتواصلوا عاطفياً مع الآخرين. لا شكَ أنّ العلاقة بين التفوق الدراسي والحرمان من التعلم باللغة الأم (ما يقارب ال٧٠% من الإيرانيين محرومون

من التعلم بلغتهم الأم) واضحة في كثيرٍ من نتائج البحوث. أحياناً يحدث أن التلميذ يتراجع أداؤه المدرسي لا سيّما في المواد العلمية؛ لأنها تدرّس بلغة غير لغته والتي لا يتقنها إتقانا جيداً. فنجد كثيراً من أصحاب الشهادات العليا الذين حُرِموا من تعلم لغتهم الأم يعانون أزمات عاطفية (يعد اللغويون وعلماء النفس بعض أسبابها الحرمان من التعلم باللغة الأم) .كما يلاحَظ أيضاً أنّ مسألة تدريس العلوم النظرية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء باللغة الأم من المسائل الضرورية اعتقاداً أن اللغة تكوّن الذهنية وتحدد النظرة إلى الوجود. إذن نقل العلم باللغة الأولى تطوير لنفسية الفرد ولحياته وللغة نفسها، وإلا فإن هناك خطراً من تحول العلم إلى وسيلة للانفصال عن الشعب أو التعالي عليه. مصطفي حجازي في كتابه" الإنسان المقهور" يشير إلى هذا الانفصام بين اللغتين المهيمنة واللغة الأم ويصرّح أنّ الانفصام بين لغة العلم ولغة الحياة اليومية من أكبر مشكلات في المدارس. "ومن مشكلات التعليم الشائعة في البلدان النامية، الانفصام بين لغة العلم ولغة الحياة اليومية. ونعني بذلك دراسة العلوم المضبوطة بلغة أجنبية، يظل غالبية الطلاب، ما عدا أبناء القلة ذات الحظوة، عاجزين عن التعامل بها، ولا يمتلكونها إلا بنقص جداً. العلم كاللغة الأجنبية التي ندرسهم بها ، يظل غريباً عن عالمهم وواقعهم، يشكل في أحسن الحالات قشرة خارجية لا تتجاوز السطح. في حين عالمهم المعاش تحكمه اللغة الأم المشحونة بالانفعالات والغيبيات والخرافة، والبعيدة كل البعد عن العلمية".(حجازي، ٢٠٠٥: ٨٠). نقل العلم للأطفال بلغة غير اللغة الأم للأطفال، يبقى غريباً عن العالم الذي

تعودوه ويشكل في أحسن الحالات قشرة سطحية لا أكثر. في حين عالمهم المعاش تحكمه اللغة الأم المشحونة بالانفعالات والحيوية. ينبغي الإشارة إلى قضية مهمة وهي أن اللغة والقضايا النفسية المتعلقة بها أكبر من أن تُطرح على يد هتافات وتكهنات خالية من الأساس العلمي والتي تنشأ من نظرة عنصرية دونية وسطحية لا تُعدّ الدراسات العلمية والنصوص الحقوقية المتفق عليها بأنها مواثيق دولية. يمكننا الجزم أن ٨٠ بالمئة من هؤلاء الأطفال سوف ينصدمون عاطفياً في الصفوف غير العربية والطفل العربي المنصدم يظل يحاول ويحاول كي يطبق نفسه مع البيئة الجديدة التي تشبه الدخول إلى بلد جديد يختلف عما تعوّده وهكذا يتأخر عن البقية الذين يتقنون اللغة الفارسية بحكم أنها لغتهم الأم.

قليل من هؤلاء الأطفال يتفوقون في المدرسة وكثيرٌ منهم يفشلون منذ البداية. وفق التقارير التي أرسلتها الدائرة العامة للتربية والتعليم إلى دائرة الرعاية الاجتماعية في عام ٢٠٠٨ هناك ما يقارب الـ ١٢ ألف طفل أهوازي لم يدخل سلك التعليم أو ترك التعليم في السنوات الأولى لأسباب أهمها الفقر والتمييز العنصري واللغوي .وفي تحقيق ميداني لغرفة أبحاث مجلس الشورى في إيران اتّضح أن في السنوات الست الماضية(2011-2017) ما لا يقل عن خمسة ملايين حالة رسوب سجلت في المدارس الإيرانية ولا شكَ أن أغلبها حدثت في المناطق غير الفارسية[٣٥]. بما أن الأطفال في هذه المدارس لم يتقنوا الفارسية المعيار قراءةً وكتابةً، ينصدمون ولا يستطيعون أن يندمجوا مع الأجواء

[35] http://umay.blogfa.com/post-81

المدرسية. ولا ننسَ أن أولياء الأمور مدركون تماماً تفاقم أزمة التعليم في هذه المناطق لكنهم لا يبادرون لحلحلتها بل يعملون حسب أذواقهم ومآربهم وميولهم. الباحث بيناك يشير إلى هذا الأمر: إن ٧٢ بالمئة من حالات ترك المدرسة في كل العالم تحدث في البلاد متعددة اللغات والثقافات التي يُجبر فيها الطفل أن يتعلم بلغة ثانية غير لغته الأصلية. (بيناك، ٢٠٠٩). مثالاً على ذلك، أيضاً يمكننا أن نشير إلى التقارير غير الرسمية التي نُشرت وذُكر فيها إغلاق أربع مدارس ثانوية في مدينة الفلاحية خلال الأعوام 2015-2019 لأسباب منها التعلم بلغة غير اللغة العربية؛ فقد كانت كل مدرسة تستقطب ما يقارب ال ٣٠٠ طالباً/طالبة والآن خليت تماماً ثم أُغلِقَتْ.

دراسات كثيرة أثبتت فشل النظام التعليمي المعتمد على اللغة الرسمية الواحدة في إيران. اعترف مدير دائرة التربية والتعليم لمحافظة فارس عام ٢٠١٩ في تقرير وقال: علينا أن نعيد النظر في تأليف الكتب الدراسية وأن نأخذ بعين الاعتبار التعددية القومية، واللغوية، والثقافية، حتى نجتذب الطالب غير الفارسي ولا نبعده عن أجواء المدرسة.

الأعراض النفسية لدى الأطفال الذين تعرضوا للتمييز اللغوي كثيرة منها؛ القلق وعدم الثقة بالنفس(حتى في الكبر)، العزلة والاكتئاب، الاضطرابات الوجدانية، الفصام وهو خلل في التفكير والعواطف، الاختلالات العقلية، الخرف، العجز الذهن، سلوك المعارضة (مثل استخدام العنف اللغوي مع الأبوين أو عدم احترامهما)، الشعور بالغربة مع الذين ينتمون إليه أساساً، وغير ذلك من أزمات في الصحة النفسية والسلوك. فالأطفال الصغار الذين

يمرون بتجارب التمييز اللغوي في المدرسة والبيئة سيواجهون عقبات سلبية كبيرة على صحتهم ورفاهيتهم. يرى بعض النفسيين أن تقدير الذات أهمُّ ما يدفع الطفل إلى التقدم وبذل الجهد والعطاء الدائم، لذا أعدّوه حاجة أساسية لتحقيق التوافق مع البيئة التي يعيش فيها. فتقدير الذات يعد من أهمُّ مبادئ التربية السليمة، من حيث الثقة بالنفس والاعتزاز بها، ومن ثم تكوّن أفكار إيجابية عن الذات والإحساس بالكفاءة والقدرة على الإنجاز والنجاح. (دراسات نفسية، ٢٠١٥: ٥٥٤). تقدير الذات له علاقة وثيقة باللغة حيث تتكوّن اللغة وتظهر هذا الذات في مرحلة الطفولة وبمحاذاة اكتساب اللغة. وتُعدّ اللغة إحدى الآليات التي يستخدمها الطفل في إدراك ذاته وقيمتها، فيمكننا أن نعرف ما يشعر به الطفل تجاه نفسه وأقرانه عن طريق اللغة. (شاكر، ٢٠٠٩: ٢١٤).

يحث الباحثون أن من الواجب فعله لتقليل الآثار النفسية في الأطفال أن تساعد الأسرة الأطفال في تنمية شعورهم بالهُوية بفضل اللغة الأم. إذن مسؤولية كل فرد في الأسرة أن يترك انطباعاً إيجابياً لدى الطفل بفضل اللغة العربية وعظمتها حتى يشعر الطفل أنّه (ولغته وهويته وثقافته) ذو قيمة ويشعر بالحب تجاه شخصيته وإنْ لم تكن هكذا فسوف تكون النتائج وخيمة جداً.

قلة الثقة بالنفس، الخجل المستمر والاضطراب الفكري لدى الأطفال من الحالات التي لا تخفى على أي معلم في الأهواز. هذه الاضطرابات تخلق نوعاً من التوتر الهُووّي وهيئة إحباط لدى الطفل وفي بعض الأحيان تخلق عداءً مع ثقافته وأهله وأقربائه. هنا يمكننا أن نربط هذه الظاهرة بنظرية التطور

الاجتماعى المعروفة "أزمة الهُوية"[٣٦] وهي حالة يعرّفها أريكسون بالترديد وعدم الاطمئنان والضياع نفسياً وجسمياً وعدم الارتياح، وربما الشعور بالفشل عندما يدخل الطفل المدرسة لينصهر بالثقافة المهيمنة. (أريك أريكسون،١٩٧٠: ٧٣٠ ).

يتشبث الطفل بالطرائق شتى لينجو بنفسه من هذا الضياع. نراه تارةً يستخدم قوى الذاكرة لتخزين المعلومات الدراسية دون فهمها في أغلب الأحيان. وتارةً أخرى يلجأ إلى التمارض والتغيب والتهرب من الحضور في الصفوف للنجاة بنفسه من هذا السجن القاهر الذي سُجن فيه ثماني أو تسع سنوات. هذه الحالة أي ترك الدراسة في الأهواز تُعدّ من الحالات المعمولة والمتداولة عند الطفل الأهوازي، حينما يصل إلى المرحلة المتوسطة والثانوية. بناءً على ما توصلنا إليه ميدانياً وبمتابعة الطلاب في الأحياء المهملة خاصة: (حي الدائرة، الملاشية، قلعة كنعان، صياحي، وحي العين). وذلك عبر الحوار المباشر وملء الاستبانة التي تحتوي على أسئلة ذات صلة بحياتهم المستقبلية وجد الباحث أن من مجموع ٣٣٢ طالباً، ١١٢ منهم لديهم الرغبة التامة بالتخلي عن الدراسة وعدم الدخول في الجامعة والانشغال بمشاغل في السوق وغيره يتوهمون أن تُنجيهم، 52 طالباً أشاروا إلى صعوبة المواد التعليمية أو عدم فهم المدرسين لها، و ١٦٨طالباً تفاعلوا إيجابياً مع فكرة التعلم بلغتهم الأم وأرادوا تعليم المواد الدراسية بها. الجدول ١

---

[36] identity crisis

| مجموع الطلاب في العينة: ٣٣٢ | | |
|---|---|---|
| 112 | 168 | 52 |
| التخلي التام عن الدراسة | تعليم المواد باللغة الأم | صعوبة فهم المواد والمدرس |

الجدول رقم ١

هذا هو المردود وبالتأكيد فإن الحصيلة الناتجة ثمنها باهظ. ينبغي ذكر أنّ الضربات النفسية الكبرى التي يواجهها الطفل تتبيّن حينما يدرس بلغة غير لغته. هذه الحالة تخلق اضطراباً هووّياً لدى الطفل وبمعنى آخر تسلب هُوية الطفل الحقيقية ولا أسوأ من أن يتقن الطفل لغة أخرى ولا يستطيع إلقاء كلمة سليمة بلغته. اللغة الأم هي النواة لبلورة هذه الهوية والعناصر المتصلة بها. الطفل بحاجة ماسة إلى التعبير عن مشاعره وأفكاره بلغته الأم وهذه الأزمة في المدرسة سوف تمحي كل هذه المشاعر والأفكار.

إذا أردنا أن نرسم إطاراً لتعليم الطفل الأهوازي فمن الضروري أن نعتني بلغته الأم بصفتها أساساً لهذا الإطار؛ هذا لأن للغة الأصلية تأثيرات جدية في تكامل شخصيته وتوحيدها وفي عواطفه وانسجام هذه العواطف، وهو حق أساسي كما قررته منظمة اليونسكو ومنظمات حقوقية أخرى في المواثيق الدولية ومن جانب آخر يجب علينا أن نعيَّ كوننا آباء وأمهات أننا مسؤولون عن الحفاظ على التراث الثقافي للطفل بكل عناصره وعلى رأسها اللغة.

## صراع اللغة الرسمية واللغة الأم

تتبنى المدارس في الأهواز لغة واحدة في تدريس المواد الدراسية(مواد مستوردة من خارج المجتمع أو لا تمت إلى واقع التلميذ العربي غالباً) فالتلاميذ الذين

لا يتكلمون لغة التدريس أو لا يتقنونها قد يلحقهم الحيف إذا طلب منهم منافسة متكلمي اللغة الفارسية. نظراً إلى هذه السياسة اللغوية التي اتّخذتها الحكومة، على الطالب العربي أن يتقن اللغة الرسمية ليتمكن من التواصل السليم مع أصدقائه الآخرين ومدرسيه وهي في الواقع حالة شديدة التعقيد في البيئة العربية التي نمى فيها الطفل العربي. إذن تعلم اللغة الرسمية وإتقانها يحدد درجاته وأداءه المدرسي وحتى شعوره نحو وجوده في المدرسة واستمراره وحماسه للدخول في الجامعة وتحقيق الأحلام. بما أن الطفل العربي في أغلبية المناطق في الأهواز لا يتقن الفارسية تكلماً وكتابةً فنرى نتائجه في الاختبارات ضعيفة ولا يتعلم المهارات الأساسية مثل القراءة والكتابة والرياضيات فيرسب في الامتحانات، وربما، يترك المدرسة لشدة الضغوط النفسيه وينتهي إلى أعمال متدنية الأجر في الاقتصاد الهامشي كالبساطة في الشوارع وجمع النفايات أو الأعمال الأخرى. فنرى بأن عدة من هؤلاء التلاميذ وعلى الأقل سبعة على عشرة أضاعوا وقتهم وتعبهم وسنوات عديدة من حياتهم وإنها لسنوات فعالة ومهمة وحاسمة. فاللغة تؤثر في الوضع الاجتماعي والمادي (وقد يوجد هناك بعض الاستثناءات) ولا شكَ أنّ أكثر الناس غير واعين بكيفية تأثير اللغة في حياتهم. عملنا في إحدى المدارس المتوسطة (مدرسة الإمام الصادق(ع) في حي الصفاء) التي تحتوي على ٢٣٤ طالباً من الصف السابع والثامن والتاسع ووزّعنا قائمة أسئلة من درس العلوم على ٨٨ طالباً من الصف التاسع باللغة الأم العربية المبسطة في شهر مارس وأخذنا الاختبار مرة أخرى باللغة الفارسية في شهر أبريل وحصلنا على

نتيجة تنبئ عن تفوق الدرجات في الاختبار الذي أخذناه باللغة العربية المبسطة قياساً مع نتائج الاختبار الثاني الذي أخذناه باللغة الرسمية الفارسية، مما تشير النتائج إلى الراحة النفسية والاستيعاب التام للأسئلة المطروحة باللغة الأم. ينبغي أن نذكر أن ١٤ طالباً لم يهتموا بالاختبار لهذا تم شطبهم. الجدول رقم ٢.

| ٧٤ طالباً من الصف التاسع | النتيجة من ١٠٠% |
|---|---|
| معدل نتيجة اختبار درس العلوم باللغة الفارسية | 34% |
| معدل نتيجة اختبار درس العلوم باللغة العربية | 56% |

جدول رقم٢

إذن اتّضح للباحث أنّ اختيار اللغة الأم في هذا السياق كان مناسباً وكشف لنا رغبة الطلاب بالاستمرار بالتعلم باللغة الأم وما تملكها من عناصر التفوق العلمي والمعرفي مقابل اللغة الفارسية. هذا لأن الطالب يفهم السؤال المطروح فيجيب على نحوٍ كاملٍ وبثقة نفس فيكتب ويكتب ولا تخونه ذاكرته لاستخدام المفردات المناسبة. بالسياق ذاته نذكر تجربة أخرى في ماليزيا حيث قررت ماليزيا إيقاف مشروع تدريس الرياضيات والعلوم باللغة الإنجليزية(بعد ٦سنوات من التجربة) والعودة إلى التدريس باللغة الماليزية أي المالوية، وبحسب ما جاء في القرار فإن السبب هو أن الدراسات التي أجريت على أكثر من ١٠ آلاف مدرسة أثبتت فشل التجربة وأن التدريس

بالإنجليزية (غير اللغة الأم) تسبب بتدهور مستوى الطلبة على المدى البعيد، وتدهور في مستوى أدائهم في الرياضيات.

بالنسبة إلى الفرد الأهوازي تأتي مشكلة تعلّم اللغة الرسمية مضافة إلى الوضعية الاقتصادية المزرية للأسر الأهوازية لتغلق كل الأبواب بوجهه وقد يخفق الملايين من نيل حياة كريمة. وبتعبير آخر، أنّ البنية الاقتصادية والثقافية الحاكمة في الأهواز أُنتجت لغاية إقصاء الأهوازيين، ولهذا تفرض عليهم تمييزاً إلى درجة حرمانهم من كثير من فرص العمل وخاصةً فرص التوظيف الإدارية والمناصبية[٣٧]، فيضطر بعضهم إلى هجر لغته ليس بسبب الإحساس بالدونية فحسب بل من أجل الحصول على بعض الامتيازات التي قد توفر له الحياة الكريمة. (صياحي،٢٠١٦: ١٥). الكفاءة اللغوية غير المناسبة لا تعود إلى فقر النصوص أو قلة الوسائل أو ضعف الحوافز عند المتعلمين الأهوازيين أو نظريات التعليم ومناهج التدريس غير الملائمة بل إن الكفاءة اللغوية تظل عائقاً يحول دون الشغل والتعليم والرفاه، وذلك بسبب قوى سياسية حاكمة وجميعٌ منتبه أن عدداً كبيراً من الناس عاجزون عن اكتساب هذه الكفاءة في اللغة الرسمية لأسباب بيئية وهوّوية. (طوليفسون،٢٠٠٧: ١٨). إن واقع الأهواز يفيد بأن عدم اكتساب الكفاءة

---

37 مقتبس من مقال: عمليات رواني سايت العربية بر عرب هاى خوزستان با تمركز بر احساس محروميت نسبى رفاهى، فصلنامه ى علمى پژوهشى آفاق امنيت، شماره ٣٨، سال ١٣٩٧ شمسى، نشر دانشگاه امام حسين.

تؤشر أيضاً جويا بلوندل سعد لهذا التمييز في كتابها "معاداة العرب في الأدب لإيراني" ص ٣٢ . ترجمته فرناز حائري للفارسية

المطلوبة في اللغة الفارسية يؤثر سلباً في كثيرٍ من الحالات على قدرات الطفل العربي في التعلم وفي النجاح وفي توفير أمور حياته.

اللغة اليوم ساحة من ساحات الصراع وأداة من أدواتها. إنها بالفعل حربٌ ثقافيةٌ ولغويةٌ دامية شرسة ولا يمكن لنا الخروج من هذه الحرب منتصرين إلا بشق الأنفس والتضحية وتحمل المصاعب. بتعبير آخر؛ بعض الأحيان نرى أن هذه الحيوية اللغوية للغات المسيطرة لا مناص منها وأنها احتلت بيوتنا كضيف مفروض علينا الترحيب به ولا نستطيع أن نصون بيوتنا من الضيف المزوّد بالعتاد والمال والرجال! لكن المقاومة حلّنا الوحيد لا غير فإذا ساومنا على لغتنا سنساوم على كرامتنا.

## الحفاظ على اللغات الأم في البلاد المتقدمة

إنّ التعدد اللغوي يكوّن الوضع اللغوي الأكثر انتشاراً على سطح الكرة الأرضية. يلتقي في كل يوم وفي كل نقطة على سطح الأرض، مئات الآلاف من البشر وهم يحتاجون إلى التواصل ولكنهم لا يتكلمون اللغة نفسها .نشاهد إنجاز عمليات التطور العلمي والتربوي والمجتمعي باللغات الأم في كثيرٍ من الدول المتطورة في الشرق والغرب كالدول الإسكندنافية، والبرازيل، وكوريا، واليابان، وغيرها. كما تقدم كلها نماذج باعتقاد أن اللغة الأم لا تتعارض مع التطور والتحديث فحسب، بل إنها شرط هذه العملية التحديثية وهو ما أثبتته ووصلت إليه تجارب هذه الدول. (بعلبكي وآخرون، ٢٠١٣: ١٣).

في البلاد المتعددة اللغات كسوئيسرا والسويد والنرويج وفينلاندا وكندا والهند والمغرب و.. ينمو الطفل ويدرك أن لغته لها قيمة كباقي اللغات الموجودة، إنهم مدركون تماماً أنّ الأمة التي تتعلم بلغة غير لغتها لا يمكن أن تفكر إلا بفكر أجنبي. من الملاحظ أنه يوجد ما يقارب ال ٣٨ بلداً في مختلف أنحاء العالم تستخدم لغتين أو ثلاث أو أربع لغات رسمية للبلاد. سنغافورة لديها أربع لغات رسمية وتهتم بكل اللغات الأربع بمستوى واحد نظراً إلى التعددية الموجودة فيها. (كورناكوف :١٩٩٧، ١٨ ). أيضاً دول ككندا، والسوئد، والهند تعد من الدول الثنائية أو ثلاثية اللغات وتتمتع شعوبها بالفوائد التعليمية المهيّأة بفضل الحكومات المركزية؛ في الهند هناك تسع عشرة لغة رسمية دستورياً. (حميدى،٢٠٠٢:٢). في لوكسمبورغ التي لا يزيد عدد سكانها عن نصف مليون نسمة، و٤٠% منهم أجانب، توجد ست لغات مستعملة، وفي بوليفيا التي نص دستورها عام ٢٠٠٩م على أن ستةً وثلاثين لغة من لغاتها الوطنية لغات رسمية، إلى جانب الإسبانية الأكثر تداولاً. لا توجد أي إهانة أو احتقار لأي من اللغات المحلية المتوفرة هناك حتى وفي بعض هذه الدول التي ذكرت، اللغة الرسمية ليست اللغة الأكثر انتشاراً وتكلماً بين الشعوب. هناك أيضاً تجربة في"غينيا" الجديدة، حيث يتحدث سكان هذا البلد المقدر عددهم قرابة ستة ملايين نسمة ما لا يقل عن ٨٢٠ لغة. حتى تصان اللغة الأم ولكي تترسخ في أذهان الأطفال يتم التّدريس بعدد كبير من هذه اللغات في المرحلة الابتدائية، قبل البدء في تعلّم اللغة الرسمية للبلاد.

هناك قوانين مختلفة في هذه البلاد تتحدث عن كيف ينبغي أن تكون المدارس لكي يتمكن جميع الأطفال والشباب من تطوير أنفسهم بأفضل طريقة ممكنة. فعلى سبيل المثال يجب على المدرسة الأخذ بعين الاعتبار مختلف احتياجات التلاميذ ومنها اللغة. وهناك أيضاً مناهج دراسية فيما ينبغي أن يتعلمه التلاميذ في المواد المختلفة والعام الدراسي. إن الحفاظ على اللغة الأم وتطويرها، هي بدرجة أولى، ضرورة لتعلم لغة أخرى، ولاستحصال مواد دراسية أخرى. في مقال نشره موقع إسلام ويب جرى التأكيد أن الاهتمام بالتدريس باللغة الأم أصبح أمراً محسوماً طبقاً لما أثبتته التقارير والدراسات التي تؤكد ذلك، حيث أوصت منظمة اليونسكو بضرورة التدريس باللغة الأم كاشفةً في تقاريرها في موضوع مهم: "إن أفضل الدول الرائدة عالمياً تدرس بلغاتها الأصلية" كما أكدت دراسات أممية أخرى أن ١٩ دولة تتصدر العالم تكنولوجيا يرتكز تعليمها على اللغة الأم وعليها يرتكز البحث العلمي؛ هذا لأن قدرة الفرد على فهم واستيعاب أفضل تقترن اقتراناً عميقاً باستعمال اللغة الأم.

لتطوير هُوية التلميذ، قسم تعليم اللغة الأم في السويد مثلاً يقدم منهجاً تعليمياً قائماً على اللغات الأم للتلاميذ في مدة التعليم المبكر حتى الصف التاسع. قسم اللغة الأم مسؤول أيضاً عن تقديم دروس المساعدة باللغة الأم للطلاب القادمين حديثا إلى السويد، الذين لا يملكون مقدرة لغوية كبيرة باللغة السويدية لاستحصال دروسهم باللغة السويدية. في روسية مثلاً دُوِّنَ قانونٌ للغات القومية الذي يأذن بحريّة اختيار اللغة من بين اللغات الأم لشعوب روسيا، والتي يتجاوز عددها ٢٥٠ لغة. ينص القانون على إمكانية

الحصول على التعليم العام باللغة الأم من بين لغات شعوب روسيا الاتحادية، كما يقضي القانون بإبقاء" حرية اختيار لغة التعليم" في المدارس ورياض الأطفال التي تتضمن برامجها التعليمية مادة" اللغة الأم"، وذلك بناءً على قرار وطلب من أولياء الأطفال ودركهم لقيمة اللغة الأم. في المغرب وبناءً على دراسة أجراها موحا الناجي(٢٠٠٥)، هناك اتفاق عام على أن اللغة العربية والأمازيغية والفرنسية كل منها تحظى بالاهتمام ذاته من المؤسسات الحكومة وأن التعدد اللغوي ظاهرة لغوية مجتمعية حية يستحسنها كثيرون. كندا تشجع على استخدام اللغة الأم في المدارس واصفةً إياها أمراً في غاية الأهمية وذلك يعود إلى أسباب منها :

ألف -اللغة الأم تعد أهم أداة لتمرير أو تلقي المعرفة لأن الطفل يتعلم أفضل باللغة التي يفهمها.

ب- اللغة الأم هي التي يتقنها الأبوان إتقاناً ممتازاً.

ت- ستظل المفردات وسهولة الاتصال أقوى في اللغة الأم وهي اللغة التي تمكن الطلاب من البقاء على اتصال مع أدب وثقافة بلادهم والحفاظ على احترامهم للغتهم.

ث- الأطفال الذين يمتلكون مهارات قويه باللغة الأم أكثر استعداداً وقدرة على تعلم لغة ثانية لذلك يحرص الكنديون دائماً على تشجيع الأطفال على تعلمهم لغتهم الأم وتوريثها من جيل إلى جيل.(زعيتر، ٢٠٠٧: ١).

هذه الأمم كشفت قدرة اللغة الأم وآثار تعليمها للأطفال في السنين الأولى من حياتهم فلا ذلّ ولا انحطاط ولا ذهاب ولا إدبار لأطفال أتقنوا لغتهم الأم قبل

لغة أخرى. توصلت البلاد المتحضرة إلى يقين بأن لا توجد أي دولة في العالم انطلقت أو ستنطلق في المجال التكنولوجي دون الاعتماد على اللغة الأم[٣٨]. في دراسة حديثة أجريت عن أفضل ٥٠٠ جامعة عالمية في ٣٥ دولة تبين أنّ جميعها تدّرس بلغاتها الأم. هذا لا يعني أن اللغات الثانية أو الأجنبية ليست بذات الأهمية وإنما يؤكد محورية اللغة الأم بوصفها مكمن قوة وعاملاً أساسياً في صنع مستقبل زاهر وآمن للشعوب في ظل لغتهم وثقافتهم الأم. المديرة العامة لليونسكو سابقاً -إيرينا بوكوفا واعية بأهمية اللغة الأم في جميع جوانب الحياة حيث قالت: "يجب علينا الإقرار بهذه القوة الكامنة في اللغات الأم وتعزيزها كي لا يتخلف أحد عن الركب، ومن أجل صنع مستقبل أكثر عدلاً واستدامةً للجميع. إن اللغات هي الأدوات الأقوى التي تحفظ وتطور تراثنا الملموس وغير الملموس، لن تساعد فقط كل التحركات الرامية إلى تعزيز نشر الألسن الأم على تشجيع التعدد اللغوي وثقافة تعدد اللغات، وإنما ستشجع أيضاً على تطوير وعي أكمل للتقاليد اللغوية والثقافية في كل أنحاء العالم، كما ستلهم في تحقيق التضامن المبني على التفاهم والتسامح والحوار، وتحظى اللغات بثقل إستراتيجي مهم في حياة البشر والكوكب بوصفها من المقومات الجوهرية اللغوية وركيزة أساسية في الاتصال والاندماج الاجتماعي والتعليم والتنمية، ومع ذلك فهي تتعرض جراء العولمة إلى تهديد متزايد أو إلى الاندثار كلياً.[٣٩]

---

[38] (مهدي المنجرة، graffiti3.emonsite.com).

[39] https://www.islamweb.net/ar/article/224635

في تلك البلاد وإلى جانب الهويات المتعددة يتعلم الأطفال في المدارس الشعور بالاحترام لباقي اللغات والثقافات بعيدا عن التمييز اللغوي والقومي . في حقيقة الأمر في المجتمعات المتقدمة تذوب كل عناصر الاضطراب الفكري لدى الطفل وتعم الطفل حالة من السرور والشعور بالفرح دائماً. يتعلم الأطفال في ظل مناخ ديمقراطي ويعيشون حياة علمية سليمة ويتعلمون أيضاً اللغات المتعددة بمعاشرتهم مع بقية الأعراق والجاليات. هذه من النماذج المثالية التي يجب على صانعي القرار في الحكومات التي لا تعترف بحقوق الأقليات أن تقتدي بها وتجعلها نصب عينها من أجل الحصول على مجتمعات تحترم تلك الحكومات أولاً وتحترم بعضها ثانياً وتنجز ما يجب إنجازه وتتفادى كثيراً من مخاطر عدم استعمال اللغة الأم. إن الثمن الناجم عن عدم استعمال اللغات الأم هو التحول التام، حضور هُويات هشة وضعيفة، هجرة الأدمغة وضياع المعارف والمهارات التقليدية. (بعلبكي وآخرون، ٢٠١٣: ١٤٧).

## نزعة الابتعاد من اللغة الأم والرغبة في الالتحام بالآخر

قد عمل واضعو السياسات اللغوية، على الأرجح، على إزاحة اللغات القومية أو احتوائها وهدم كيانها وفصلها عن أهلها وإبعادها عن ساحة الفعل السياسى والثقافي والاجتماعي وعملوا بالمقابل على جعل اللغة الرسمية لغة المدارس والدوائر والصحف وحصرت اللغة الأم في المساجد والكتاتيب. فما يحدث للغة العربية في الأهواز هو في الحقيقة انزياح تدريجي بسبب ازدياد

استعمال اللغة الفارسية. في هذا المجتمع الذي يشهد تحولاً ملحوظاً في توزيع مجالات استخدام اللغة الفارسية يقل ارتباط الأجيال العربية الناشئة باللغة الأم واستخدامهم إياها مقارنة بالأجيال التي سبقتهم ما يزيد قوة ابتعادهم من اللغة الأم والانزياح نحو الفارسية مع مرور الوقت. فحينما تختزل وظائف لغة ما أي يقل استخدامها في مجالات مختلفة تقل مهارة المتكلمين بها مع مرور الوقت وبعدها يبدأ انقسامهم منها ولجوئهم إلى لغة أخرى تملأ الفجوات الحاصلة. (بعلبكي وآخرون،٢٠١٣: ٢١٦).

نقف على النموذج الأهوازي حيث يكثر اليوم استعمال وانتشار كثيف لبعض الكلمات الفارسية على حساب العربية حتى أصبحت اللغة العربية لها مكانة في الدرجة الثانية عند كثيرٍ من أبناء الشعب الأهوازي وذلك كما أشار إليه الباحثون ناجم عن عقدة النقص[٤٠] وهي عكس الثقة بالنفس. إنهم يظنون أن من يتكلم الفارسية يصبح أعلى قدراً ومعرفةً من غيره كما أننا نرى أن اللغة العربية في الأهواز يجرى إزاحتها من الحياة اليومية خدمةً للفارسية نطقاً وكتابةً وذلك بسبب الإعلام الخاطئ ضد اللغات الأم وبأنها تعيق عملية التعليم. فالتلفزيون والإذاعة والإعلام المجازي وتليها الصحف والمجلات والنشرات المهنية والكتب والاسطوانات الغنائية ووكالات الأنباء كلها تتكلم

[40] شعور مرتبط دوما بالفشل ومن أسبابه الانتقاص من مقدرة الذات بعدم أهمية ما نصنع، وعدم الكفاية الشخصية لما نفعل، ويرجع هذا الشعور الى تفوق من حولنا بطرقهم المختلفة فيما يفعلون، وكذلك القيود النفسية والجسدية التي تحبس الفرد بداخل قوقعة تسمّى الانتقاص من الذات. عقدة النقص تتوالد لدى الذين عاشوا مدة طفولتهم في بيئة تحارب المختلف وتضعه في ميزان التمييز(عادلة عدي، ٢٠١٤، صحيفة البلد).

بلغة الوجاهة الاجتماعية[٤١]. هناك عدة أسباب جَرّت دراستها على مجتمعات كثيرة والوضع لا يختلف كثيراً في معظم الأقطار كما في الأهواز. يلخص الباحثان العناني وبرهومة الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التى تساهم في إزاحة اللغة العربية لصالح لغةٍ أخرى غيرها كما أضفنا أسباب أخرى:

١) الأسباب الاقتصادية، لأن الانتصار الذي تناله إحدى اللغتين يكون في ميدان المعاملة كما أننا نرى بأن الصناعة في الأهواز أتاحت المجال لهجوم الوفود من الفارسيين ما تسبب بتقوية الفارسية وتضعيف العربية. ذكرت نانسي دوريان أن الولاء إلى اللغة ما يبقي ما دامت الظروف الاقتصادية والاجتماعية تمثل عوامل مساعدة لها، لكن إذا أثبتت لغة أخرى أنها تملك قيمة عظمى، فإنّه يبدأ الميل إلى تلك اللغة شيئاً فشيئاً. إذن الإخلاص للغة الأم قد يكون متجذراً في أرضية اقتصادية أكثر مما هو مرتبط بأبعاد حضارية أو تراثية. (بعلبكي وآخرون، ٢٠١٣: ٢١٥).

٢) الأسباب الاجتماعية: الاختلاط القومي/الإثني والارتباط بغير العرب يزيح اللغة العربية في المجتمع الأهوازي إلى الهامش. بمعنى آخر، مجاورة مستخدمي اللغة الفارسية من فرس وعرب منتمين إلى الثقافة المسيطرة في مكان واحد قد يهمش اللغة والثقافة العربيتين أو يولّد جيلاً يستعمل لغته في البيت ويخجل من استخدامها في الشارع.

٣) أسباب أخرى :مثلاً الاقتناع بالتفريس وهي ظاهرة منتشرة جداً بين بعض الشباب ولا سيما الفتيات. فإنهم يشعرون بالاعتزاز باستخدام الفارسية أو

---

[41] prestige language

في أقل تقدير المزج بين الفارسية والعربية. الحالة النفسية المدروسة تشير إلى أن هؤلاء الشباب يشعرون بالتخلف عند تحدثهم بلغتهم فيرغبون في تقليد الفرس لتعاليهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي(للإعلام الهادف لضرب العرق العربي دور بارز). اللغة تتأثر بعامل السلطة ونسبة الأغلبية، والأقلية، فتأتي الأكثرية وتستثنى الأقلية. إضافةً إلى هذا، كثافة مصادر المعرفة وكثرة الكتابة والطباعة باللغة الفارسية أثّرتا في إزاحة اللغات الأم غير الفارسية شيئاً فشيئاً.

على الفرد العربي أن يعرف أنّ اللغة العربيه هي كل الوجود وآلة بقاء له ومما لا شك فيه أن التربية الصحيحة والتوعية المستدامة للطفل الأهوازي في جميع مراحل حياته تساعده بالنهوض والاعتزاز بلغته. وينبغي أن يعلم بان اللغة العربيه لغة ذات عبقرية متفردة وسليقة فذة ولغة مقدسة. إنها لغة التنزيل الحكيم ولا تتم الصلاة وعبادات أخرى في الإسلام إلا بإتقان بعض من كلماتها. فمنزلتها وسبب بقائها في تراثها العريق وأنها لغة وسعت كتاب الله والحديث الشريف وفي درجة ثانية أنها أثرَت الأدب العربي ولمعّته في العالم بأسره.

بناءً على ما ذُكر، علينا أن ندرك أنّ لغتنا العربية في الأهواز مهددة في وجودها رغم الدراسات والبحوث العلمية التي تؤكد تعلمها بصفتها لغة أم. إنها بالفعل لحام الأمة الفعلي وضميرها، ويؤكد الواقع العلمي والعملي أنه كلما ارتبط قوم بلغتهم وأحبوها وتعلقوا بها، فإنهم يتفانون في الحفاظ عليها وحمايتها من الخطر والذل، ويبذلون ما بوسعهم لرفعة شأنها والحفاظ عليها ضد أية هجمة أو محاولة للنيل منها، وهذا يعني أن الإحساس الوطني

والشعور بالانتماء يؤديان دوراً مؤثراً في تطوير هذه اللغة. أيضا ينبغي أن ندرك أنّ التحديات التي تواجه اللغة الأم في الأهواز مريعة جداً. وهذه التحديات تؤثر في حيوية اللغة العربية والوظائف التي تقوم بها. فنرى في مناطق عديدة من الأهواز في المدن المختلفة وحتى في القرى استعمالاً مكثفاً للفارسية في التعليم المبكر، وفي الأسرة والمجتمع.

فكرةُ "*سأتحدث إلى طفلي بالفارسية حتى يجيدها منذ نعومة أظفاره*" فكرة يتبعها بعض الآباء والأمهات، لكنها خاطئة وخطيرة جداً والخبراء يحذرون من مخاطرها النفسية. كنت مدعواً في حي" الملاشية "وهو من الأحياء العربية المهملة في الأهواز وسمعت أمّاً تنادي طفلتها "زيبا گفتم اين كار را نكن" (ترجمة: زيبا قلتُ لكِ لا تفعلي هذا) بلهجة عربية أهوازية فأخذني الفضول وسألت أباها لماذا "زيبا "ولماذا التكلم بالفارسية. فقال: عملْنا هكذا حتى لا تواجه صعوبة في المدرسة ولتكون أكثر ذكاءً وتفوقاً في المستقبل! في موقف آخر أدهشتني أمٌّ في روضة الأطفال تصفع ابنها الصغير حين طلب شيئاً منها بلغته الأم قائلةً" فارسی صحبت کن" أي تكلم بالفارسية! ربما نتفهم فعل الأم رغم غرابته، فتصرفها هذا يأتي من خوف وهمي عميق على مستقبل الطفل داخل المجتمع الذي يصنف الأفراد على أساس التمييز اللغوي والثقافي وهو تصنيف سطحي جائر؛ لأن الطفل وكما قلنا في مكان آخر في هذا الكتاب قادر على تعلم لغات متعددة وتعلم أي لغة لا ينفي تعلم الأخرى أو شطبها. بهذه العقلية المتخلفة تجري عملية نزع اللغة الأم على يد الأهل ودون وجود ضغط على ذلك أساساً. فيحدث أنك ترى هذه النزعة متفشية

عند بعضهم بل تُقدّس ويُعلَم عنها، في حين أنها ضربة قاضية لإبادة ثقافةٍ ما. نعم -بالفعل- إنها ضربة قاضية ما دمنا نظن أن تعلم اللغة الفارسية دون العربية شرط الذكاء والتفوق. علينا أن نعيّ جيداً أن الفارسية مجرد لغة وليست دليلاً على تعيين مستوى الذكاء.

بالطبع أن عنصر النساء أكثر تأثرا من عنصر الرجال في قضية الابتعاد من اللغة، ما يثبت هشاشتهن أمام اللغة الفارسية، والنزوع إلى التماهي مع الآخر في المجتمع الأهوازي، هذا لأن المرأة أكثر عاطفة وتأثرا من الإعلام السمعي والبصري. تفيد ملاحظات ميدانية عدة في المجتمع الأهوازي الحديث أن عدداً ليس بقليل(النسبة تختلف حسب المكان)من الفتيات الأهوازيات المتعلمات -على الخصوص- يتعاطفن مع اللغة الفارسية أكثر من تعاطفهن مع اللغة العربية، ولهذا تنعكس هذه الحالة السلبية إلى أجيال الحاضر والمستقبل في المجتمع الأهوازي. أيضاً تفيد الملاحظات أن عدداً كبيراً من الأهوازيات المتعلمات يعطين مكانة أعلى ورتبة اجتماعية أرقى للغة الفارسية وثقافته. ركز البحث على هذه الإشكالية لنتأمل واقع اللغة العربية تأملاً سريعاً في سياق مهم ألا وهو التعليم الجامعي وقورن استخدام اللغة الأم العربية في سياق التواصل الشفوي والكتابي عند النساء والرجال في جامعتين في مدينتي الحميدية والخفاجية وذلك بملء استبانة خاصة وبعد إستقراء الآراء توصلنا إلى نتيجة تشير إلى وجود نسبة انزياح من اللغة الأم عند الفتيات أكثر من الشباب ويوضح الجدول التالي شيئاً من ذلك. ويعبر عن النتائج التي طبقت على ٩٨ طالباً وطالبة (٤٩ من الرجال و٤٩ من النساء) في شعبتين من جامعة بيام نور في الحميدية والخفاجية (الجدول رقم ٣).

| السؤال | النساء | | الرجال | |
|---|---|---|---|---|
| | نعم | لا | نعم | لا |
| أستخدم لغتي الأم حين أتواصل مع أصدقائي/صديقاتي مباشراً | 13 | 36 | 48 | 1 |
| أستخدم لغتي الأم حين أتواصل مع أصدقائي/صديقاتي عبر وسائل التواصل الاجتماعية. | 18 | 31 | 41 | 8 |

الجدول رقم٣

يتضح من الجدول هذا أن نسبة استخدام اللغة العربية عند الذكور أوفر حظاً من الإناث وبالطبع هذه النتيجة ليست لصالح اللغة العربية في الأهواز، بل تظهر مدى الإعجاب النسائي باللغة الواردة وبما أن المرأة في الأسرة لها الدور الأكبر في تنشئة الأطفال ورسم ملامح المستقبل ستؤثر مباشرة في الانفصال عن لغتهم. في السياق ذاته يشير الذوادي إلى المرأة العربية المغاربية المتعلمة ويقول إنها تميل إلى خلط عاميتها العربية بكلمات وعبارات فرنسية أكثر من رفيقها المغاربي (الرجل) وذلك لأن استعمال الفرنسية كونها لغة الحداثة والعصرنة والوجاهة الاجتماعية أصبحت أداةً رمزيةً بواسطتها تحاول المرأة التونسية والمغربية والجزايرية المتعلمة أن تعايش ولو خيالياً ملامح روح الحداثة التي تحرمها منها مجموعة من التقاليد الاجتماعية العربية. (الذوادي، ١٩٩٦: ٨١). هنا يأتي دور النخبة في توعية المجتمع بالدور الهوّي الذي تنجزه اللغة الأم وتوفير الأمن اللغوي.

وقد تعرفنا خلال ممارستنا مهنة التعليم على أسرٍ عربية تهتم بتعليم أطفالهم الفارسية دون العربية لا بل تضحي باللغة الأم وهذا ذنب لا يغتفر

في قاموس حقوق الإنسان. في البلاد التي تعترف بمثل هذه الحقوق، للطفل كل الحق أن يقدم شكوى عند الكبر ضد الأبوين اللذين حرماه من لغته الأم. المشهد اللغوي العام في الأهواز لا يخلو من استعمال هذه اللغة بصفتها لغة أم بدلاً من اللغة العربية. هكذا حالات ستحطم اللغة العربية، وكل المجد الذي يختبئ وراء هذه اللغة شيئاً فشيئاً وقد سمعنا كثيراً من الأصوات المنادية بترك اللغة العربية والتشبث باللغة الفارسية دون إعطاء أسباب ودراسات علمية. لا تزال اللغة الفارسية تقترن في أذهان بعضهم بالتقدم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي وبالشعور النفسي بالحداثة، لكن كما أسلفنا اللغة مجرد لغة ولا علاقة لها بالحداثة. ميل بعضهم وخاصة الشباب الجدد إلى ثقافة غير ثقافته مردّه الأساسي عقدة النقص، التنشئة غير العلمية، وضعف المؤسسات التربوية الملحّة على تنشئة وتربية من نوع آخر.

في ختام هذا الفصل نذكر أن هناك ما يقارب ال ٧٠٠٠ لغة في مختلف أنحاء العالم وكثيرٌ من هذه اللغات ستزول في المستقبل القريب إن لم يسعَ أهلها لإحيائها أو لم يبادروا إلى الاحتفاظ بها والسعي إلى ازدهارها وانتعاشها. يرى الباحثون بأن هناك قرابة ٣٠٠٠٠ ألف لغة ولدت واختفت دون أن تترك أثراً منذ خمسة آلاف سنة على الأقل، إلّا أن وتيرة انقراض اللغات اتسعت في الآونة الأخيرة، ومنذ المرحلة الاستعمارية في بقع مختلفة من العالم. هذا ما يتطلبه العالم الحقيقي الآن فالمجموعات الصغيرة ستذوب في أحضان

المجموعات الكبيرة ناسية لغتها وثقافتها[٤٢] إن لم تنهض بهما. (ريجاردز و اشميت،٢٠٠٢: ٣٦). وكنماذج حيّة يمكننا أن نشير إلى عرب خمسة(محافظة فارس)، عرب خاكك وخنيمة ورستم وشمس العرب واليشتر(محافظة فارس)، عرب الساحل، عرب ورامين، عرب كاوميشى أي فامور(كازرون-فارس)، عرب خانه(بيرجند-خراسان)، المتواجدون في جغرافية إيران والذين بحكم سلطة اللغة الفارسية تعكّرَ صفاء ونقاء لغتهم الأم وأصبحت خليطاً من العربية والفارسية. ومن المؤسف أنهم بعد مرحلة الخلط والمزج هذه تأثروا بالمزاعم الإعلامية الكاذبة (ذات النزعة الأحادية) ودخلوا مرحلة شطب اللغة الأم العربية من عالم الأطفال وابدالها بالفارسية. فما يحدث هو أن اللغة الأقوى تأتي لتزاحم الأخرى وتحتل مواقعها وأفرادها حتى تذوي اللغة الضعيفة وتموت.

في الواقع سيزول كل ذلك الغناء الإدراكي البشري الذي كاد أن يعم الكرة الأرضية ويحترم التعددية اللغوية في أرجاء الأرض والذي أشار إليه الباحثون اللغويون في بحوثهم. بموت كل لغة يُهدم قصر من قصور الإدراك البشري كما يحدث هذا ببناء سد وهدم قرية أو حقل. إذن ستموت كل هذه المجموعات الثقافية الصغيرة تحت وطأة المجموعات اللغوية الكبيرة المسيطرة. بتعبير آخر، إن اللغة اليوم إما الحياة وإما الموت والأمر منوط بالأمة وبوعيها فلا بقاء لأمة دون لغتها لأنّ اللغة هي الصورة المباشرة لحضارة ورقي الأمة فلا حضارة ولا حياة لقوم تموت لغتهم. (بعلبكي وآخرون، ٢٠١٣: ١٥٥).

---

[42] Assimilation

إذن على المعنيين بهذه الأمور نشر الوعي المكثف بضرورة الاهتمام اللغوي والثقافي بين الأهوازيين والعمل الملموس بالساعد والقلم للغة العربية وثقافتها حتى يستوعب الباقون –كما أشار الفيلسوف الألماني فيخته- إلى أن من يفقد لغته يفقد الخيط الذي يوصله بالأجداد، ويفقد معها حلقات ماضيه، ويشعر بفجوة عميقة في تطوره، وينقطع عن أصله كجلمود صخر انفصل عن الصخرة الأم وحطّه السيل من على فجرفه وقذف به بعيداً إلى أعماق الذوبان، هذا لأن اللغة الأم هي الحياة.

# الفصل الخامس

## العلاقة بين التعددية اللغوية والقوى الإدراكية للدماغ

يفحص هذا الفصل العلاقة الوشائجية بين تعلم لغة ثانية بعد اللغة الأم وصلتها بالقوى الكامنة في دماغ الإنسان كالذكاء، والانتباه والدراسات التي ركزت على هذه الظاهرة، مقيّما إنجازات ومحدوديات هذه الظاهرة وحاولنا أن نأتي بنماذج متسلسة ومرتبة زمنياً تمهد الطريق للاهتمام الأكثر بالتعددية اللغوية في الأهواز وبقية أنحاء العالم التي تعاني الأزمة نفسها.

الثنائية اللغوية أو التعددية اللغوية كانت غير مرحب بها في بداية القرن العشرين إلى درجة أن بعض الباحثين أعدّها خللاً أو داءً لغوياً دماغياً منتشراً. (دارسي ،١٩٦٣: ٢٥٩). فمالَ بعضٌ منهم على أن تعلم لغتين وثلاث لا يستند إلى علمية رصينة. الدراسات الحديثة التي أنِجزت ميدانياً وعلمياً غيرت كل المعادلات واقترحت نتائج جديدة وعكسيةً لما ذكره باحثون كدارسي وغيره. هناك العديد من الأبحاث التي أبحرت بعيداً في عمق القضايا الخاصة بالتعددية اللغوية لا سيما الدراسات التي أجريت في العقدين الآخرين للغويين وعلماء نفس مثل مك ناب١٩٧٩، كوك ١٩٩٥، جسنر٢٠٠٦، سنوز ٢٠٠٩ وباك ٢٠١٤ وغيرهم، أكدت تفوق متعددي اللغات على أحاديي اللغات في كثيرٍ من المجالات العلمية والعملية. في ما يلي سيُتَركز على بعض

الدراسات التي أجريت في العقود الأخيرة والتي وصلت إلى نتائج تثبت تفوق الذين يعرفون لغتين أو ثلاثاً على الذين يتكلمون لغة واحدة.

لقد أدركت الدول العربية دور التعددية واهتمت بها وأيقنت أنه لكي يتمكن الطفل من مواكبة التقدم التكنولوجي ومواجهة كل التحديات، فلا بُدّ من معرفة لغة أجنبية واحدة على الأقل حتى يستطيع بفضلها الفرد الاتصال بهذا العالم، وذلك في جعلها ضمن المنهجية الدراسية في مختلف المراحل التعليمية. اهتمّت مصر بتعليم اللغات الأجنبية ابتداءً من مرحلة رياض الأطفال وأن يبدأ التعليم اللغوي في السن المدرسي. (المؤتمر العربي الإقليمي، ٢٠٠٤: ١١).

خلاف ما يظنه بعضهم يرى والديس ١٩٨٩ أن أغلبية سكان العالم تعلموا وأجادوا لغةً ثانيةً أو ثالثةً إلى جانب اللغة الأم وأنّ عدداً ضئيلاً من كل سكان العالم بقوا وحيدي اللغة. أصبحت التعددية اللغوية وخاصةً الثنائية ظاهرة شائعة جداً فأكثر من ٧٠% من سكان العالم يتحدثون أكثر من لغة واحدة. كثيرٌ من البلاد بما فيها إيران لديها مجموعات بشرية تستخدم لغات غير اللغة الرسمية للمضي في حياتهم اليومية وتلبية حوائجهم. فنظراً إلى العولمة المسيطرة تعد الثنائية أو التعددية اللغوية من ضروريات الحياة. الباحثان آوور و وي تحدثا في هذا الأمر بدقة أكثر وقالا: تعد اللغة الثانية أو الثالثة هاجس قلق لبعض العوائل لأسباب كالاندماج أو المثاقفة [٤٣] باللغة الجديدة وفقدان الهوية أو إلحاق الضرر بمصلحتهم التعليمية في المدرسة وفي الشارع.

---

[43] Acculturation

لكن في المقابل يرى بعض الآباء والأمهات بأن تعلم لغة ثانية أو ثالثة فرصة للتغيير لطفلهم التي ستوفر له فضاء أكبر للحصول على وظيفة. (آوور و وي،٢٠٠٧: ٤).

التعددية اللغوية وصِلتها بالإدراك والذاكرة والمعرفة لها تاريخ طويل يمتدّ إلى ستة عقود من الزمن. فالبحوث العلمية المختصة باللغات أثبتت أن هناك علاقة إيجابية تطورية بين تعلم واستخدام اللغات وإدراك المتعلم في المجالات شتى. كامينز ١٩٩١ في دراسة له يقول إن الطفل يكون أكثر إبداعاً واستقبالاً للتعددية اللغوية ويثبت هذه الصلة الإيجابية بين تعلم لغة أجنبية إضافةً إلى لغته. أيضاً هناك كثيرون ممن درسوا هذا الموضوع وأكدوا أن تعلم لغة أخرى إلى جانب اللغة الأم يزيد من قدرات الطفل التواصلية الاجتماعية. فالفرد الذي يتقن لغتين أو أكثر يستطيع اكتساب المعلومات على نحو أدق وتفاصيل أثيثة، وبأداء أكثر إبداعاً. سيوضح الأمر أكثر إذا ذكرنا بعض الدراسات العالمية التي أثبتت ضرورة أخذ الثنائية اللغوية على محمل الجد في سياقات متعددة مثل الأسرة والمدرسة .(كامينز، ١٩٩١: ٧٠-٨٩).

لوبولد ١٩٣٩-١٩٤٩ من أوائل الذين صرحوا بالتأثير القيّم في النضوج الذهني للأطفال الذين تعلموا لغة ثانية بعد تعلمهم لغتهم الأم. في دراسة أخرى ويغوتسكي ١٩٦٢ يستنتج أن الأطفال الذين تعلموا لغة ثانية إضافةً إلى لغتهم الأم يدركون تماماً طبيعة العلاقة بين الشكل والمعنى للعبارات قياساً مع أحاديي اللغة. في العام نفسه بيل ولمبرت ١٩٦٢ درساً الصلة بين ثنائية اللغة والذكاء؛ الدراسة ركزت على الأطفال (وهم في سن العاشرة) في منطقة

مونتريول حيث جرت مقارنتهم بالطلاب ذوي اللغة الواحدة. في ختام البحث أكد الباحثان بأن الطفل الثنائي اللغة) الذي تعلم اللغة الأم جيداً ومن ثم لغة أخرى(طفل ذو تجربة عالية في كلا الثقافتين الخاصة باللغتين اللتين تعلمهما وله نسبة ذكاء أفضل من أقرانه أحاديي اللغة). (بيل و لمبرت،١٩٦٢: ٢٧١).

تجربة الطفل بلغة أخرى تعطيه المزيد من الإدراك في المفاهيم والمرونة في نظامه العصبي وكفاءة أكثر في تعامله الاجتماعي قياساً مع الأطفال الذين لم يتقنوا سوى لغة واحدة أو الأطفال الذين يضحي أولياء أمرهم باللغة الأم للغة أخرى كاللغة الرسمية. ويلدومك ١٩٦٣ في أول كتاب له في مجال تعلم التعددية اللغوية يشير إلى الإيجابيات. الطفل الذي تعلم على يد أفراد أسرته لغةً ثانيةً إضافةً إلى لغته الأصلية يستخدم عادةً مفردات وعبارات وجملات أكثر بلاغة ومرونة من الطفل الذي يتقن لغة واحدة وخاصة إذا لم تكن اللغة التي تعلمها لغته الأم. في دراسة أخرى جنيسز١٩٨٧ يؤكد جانباً آخر من هذه الصلة الخاصة بالتعددية اللغوية. يشير جنيسز أن الأطفال ثنائيي اللغة سيتقنون مهارات اجتماعية مميزه ومرونة في نطق الألفاظ مقارنةً مع أقرانهم الذين لم يتعلموا إلا لغة واحدة. فقدراتهم اللغوية في الحوار اليومي ستكون مميزة ومتفوقة إذا جرت مقايستهم مع أحاديي اللغة. موهانتي ١٩٩٤ركز في دراستة على عدد من الطلاب الذين ينتمون إلى القبيلة كوند الأفريقية: أتقن الطلاب اللغتين المحليتين في المجتمع الذي يقطنونه. استنتج الباحث أن هؤلاء الطلاب الذين أتقنوا لغتهم الأم ولغة أخرى تفوقوا من باب

التواصل الجريء (غير الخجول) على الذين لم يتقنوا إلا لغة" الكوى" الأصلية لتلك القبيلة. هاكوتا في كتابه أتى بأمثلة كثيرة تدل على تفوق ثنائيي اللغة على أحاديي اللغة في دراسات عدة: في إحدى الدراسات الميدانية كشف عن العلاقة الوشيكة والإيجابيه بين تعلم لغة ثانية إلى جانب اللغة الأولى كالتفكر التجريدي [٤٤]وقدرتهم الراقية في قراءة النصوص المتعددة التي اعطيت للطلاب في المدرسة. أيضاً باستعمال اختبار الذكاء كشف عن صلة أخرى وهي تطور قوى الذاكرة التجسيمية [٤٥] في ثنائيي اللغة. (هاكوتا،١٩٨٥: ١١٩). في عام ١٩٨٩ وفي بحث آخر للباحثيّن اللغويّن هامبرز وبلنك ١٩٨٩ توصلا إلى نتيجة حاسمة وهي أنّ متعددي اللغة لهم قدرات دماغية وعاطفية كثيرة كالوصف المفعم بالخيال، الذكاء الشفوي وغير الشفوي، ربط المعنى بالصورة، وقوة الإدراك بالحواس. يذكر أيضاً أنّ الذين تعلموا لغتهم الأم جيداً في السنوات الأولى من حياتهم وأتيحت لهم فرصة تعلم لغة أخرى سيتكوّن في أدمغتهم شعور لغوي راقي. فهؤلاء يمكنهم أن يدركوا النصوص المتنوعة المكتوبة والمنطوقة بتقنية تفوق الذين لم يتقنوا إلا لغة واحدة فقط.

دماغ متعددي اللغات يفتح الشيفرات المتعدده المختصة بثقافات متعددة ويكون أكثر نشاطاً في العلاقات الاجتماعية أو التواصل مع الآخرين. (كوك، ١٩٩٥ : ٩٣-٩٨).

---

[44] abstract thinking

[45] iconic

آرمسترانگ وروجرز ١٩٩٧ ركزا على طلاب الصف الثالث الابتدائي الذين مارسوا اللغة الإسبانية بصفتها لغة ثانية (ثلاث مرات وبمقدار نصف ساعة في الأسبوع). هذه الممارسة المستمرة كانت ذات فائدة وفي ختام اختبارهم أشار الباحثان إلى براعة الطلاب الذين حضروا صفوف اللغة الإسبانية لفصل واحد إذ حصلوا على درجات عالية في فروع كالرياضيات والعلوم الاجتماعية. فنرى أن هذا التأثير الغالب لتعلم اللغات يطور طفلنا في كثير من المجالات الأخرى.

في سياق آخر وهو التركيز والانتباه وكيفية تأثرهما باللغة نذكر بعض الدراسات. بياليستاك ومجمودر في بحثهما أشارا إلى ثنائيي اللغة بأن لديهم القدرة الوافرة على التركيز على النقاط المقصودة. يستطيع هؤلاء أن يركزوا جلّ انتباههم على الهدف المقصود أو المهمة رغم التشويش أو الإزعاج المحيط بهم. أيضا أكد الباحثان أن الأطفال الذين أتقنوا لغتهم في الطفولة جيداً ومن ثم تعلموا لغة ثانية أو ثالثة يمكنهم إزالة التشويش أو الاضطرابات المحيطة بهم بسهولة أكثر والتنقل من أداء فرض أو واجب إلى واجب آخر )بياليستاك ومجمودر، ١٩٩٨:٦٩).

في عام ٢٠٠٠م أثبت سانز أن تعلم لغتين يمهد ويسهل سبل التعليم للغة ثالثة. بإتقان الفرد لغة ثانية تنفك لديه كثيرٌ من الشيفرات الخاصة بالألفاظ وتسهل للدماغ عملية الاستقبال للغة ثالثة ورابعة وخامسة. (سانز، ٢٠٠٠: ٢٣-٤٩). استخدم سانز ٢٠١ طالباً أجرى الاختبار عليهم.

بيكر ٢٠٠١ يذكر أن ثنائيي اللغة يمتلكون طرق متعددة للتفكير في الأمور والمهام المحولة لهم قياساً مع أقرانهم ذوي اللغة الواحدة. التفكير المتشعب أي المتباعد هو التفكير الذي يلهم الطفل الإبداع والخيال المفتوح والمفعم بالإيجابيات لدى الطالب الذي أتقن لغته الأم ومن ثم تعلم لغةً ثانيةً أو ثالثةً أو حتى رابعة. بالتأكيد نرى هذه المرونة الدماغية في أغلبية الأطفال ثنائي اللغة وهي ميزه لم ينتبه لها كثيرٌ من أولياء الأمور في المجتمعات المختلفة. الطفل ثنائيي اللغة قادر على التمييز بين المفردات المتشابهة والمتشابكة لغوياً ويتميز بالدقة في بيان التفاصيل وكشف الالتباسات والغموض في بعض الألفاظ ومعالجة الإبهامات في بعض التركيبات اللغوية. يشير بعض الباحثين أيضاً إلى أن الكاتاليين الذين أتقنوا الإسبانية إلى جانب لغتهم تقدموا باستخدامهم سبلاً أفضل في فهم النصوص وإيراد طلباتهم بلغة أخرى.[٤٦]

الدماغ المرن أو الليّن له القدرة على احتواء الوظائف في نقاط ومواقف مختلفة. حتى نعطي صورة أوضح يمكننا أن نلاحظ جسم الإنسان الذي دخل نادي كمال الأجسام وبدأ بتمارين رياضية صعبة لجسمه. يصبح الجسم أقوى وأكثر طواعية في احتواء وأداء الفروض والمهمات والوظائف المتعددة وفي مواقف مختلفة. هكذا أيضاً يعمل الدماغ الانثنائي أي المرن الذي جلس صاحبه في صفوف تعليم لغة أخرى بجانب لغته الأم. نورمان دويج ٢٠٠٨ يصف الدماغ بالعضلة التي تستقوي بالمفردات أي باللغات.

[46] from,mastersthesiswriting.com.html

فتعلم اللغات المتعددة يعطي الدماغ فضاء أوسع وقدرة خارقة لحلحلة الأمور المعقدة بمرونة وانثنائية أكثر. (دويج، ٢٠٠٨ :دص).

باحثو اللغة في جامعة ويتا سالوت سان رافائل في إيطاليا وجدوا أن هناك تفوقاً عالياً لثنائيي اللغة في اختبارات الذكاء قياسا مع أقرانهم ذوى اللغة الواحدة. فكلما سعى الفرد إلى الانتقال من لغة إلى أخرى في الكلام يعمل الدماغ على فتح طرق جديدة لإيجاد توازن بين اللغتين ما يتسبب في تحكم الذاكرة والوقاية من مرض الزهايمر. في دراسات أخرى ذات صلة بما توصل إليه باحثوا جامعة رافائل وجد آخرون نتائج مثيرة أيضاً. في دراسة جرى فيها اختبار ال(MRI) على ٨٥ عينة من الأفراد المصابين بمرض الزهايمر(٤٥ فرداً من هؤلاء يتكلمون الإيطالية والألمانية). نتائج اختبارات الذاكرة أثبتت أن ثنائيي اللغة تمكنوا من الحصول على درجات عالية بنسبة ٣ إلى ٨ أضعاف مقارنةً مع المصابين ذوي اللغة الواحدة. الباحثون أشاروا إلى أن استعمال لغتين باستمرار ينتج نوعاً من الذخيرة العصبية في الدماغ تقي الإنسان من العجز الدماغي وتوسع الإدراك والذاكرة ومهارات التفكير ومنع حدوث الزهايمر.

مصنف هذا الكتاب أجرى بحثاً ميدانياً في أهمية التعلم باللغة الأم نشر في مجلة جامعة باكينكهام البريطانية. كانت الدراسة في الثلاثية اللغوية وتأثيرها في دائرة التركيز لدى الطلاب الذين حازوا قبولاً عاماً في الأوساط العلمية العالمية. في هذا البحث الميداني الذي أجريّ على ٤٦٨ فرداً من أبناء وبنات القوميات الثلاث في جغرافية إيران (العرب، والأكراد، والأتراك) الذين

يتقنون ثلاث لغات -اللغة العربية للأهوازيين، والكردية للأكراد، والآذرية التركية للأتراك والفارسية لغةً ثانيةً تعلموها في البيئة والمدرسة والإنجليزية لغةً ثالثةً تعلموها في المدرسة أو الجامعة. بتعبير آخر جرت عملية مقارنة بين ثلاثي اللغة الذين تعلموا لغتين إلى جانب لغتهم الأم وأحادي اللغة الذين يتقنون الفارسية فقط. (خجسته،٢٠١٢). الجدول رقم ٤.

| المشاركون الإناث | | المشاركون الذكور | | الخلفية العرقية و اللغوية |
|---|---|---|---|---|
| أحادي اللغة | ثلاثي اللغة | أحادي اللغة | ثلاثي اللغة | |
| 131 | | 104 | | الفارسية |
| | 91 | | 86 | العربية الفارسية الإنجليزية |
| | 11 | | 17 | التركية الفارسية الإنجليزية |
| | 20 | | 8 | الكردية الفارسية الإنجليزية |
| 253 | | 215 | | المجموع في كل زمرة |
| 468 | | | | مجموع المشاركين |

جرى اختبار العيّنة من أبناء و بنات الأقليات ومن متقني اللغة الواحدة (الفارسية فقط) من مدنٍ أخرى وأجريت مقارنة النتائج بعدها. لعملية اختبار العينة استخدم الباحث الاستبانة maas المعروفة والمتشكلة من ١٥

سؤالاً ترتبط بقوة التركيز والانتباه. أثبتت نتائج هذا البحث أن الذين يتقنون ثلاث لغات يتمتعون باستعداد عال من التركيز والدقّة قياساً مع الذين لا يتقنون إلا لغة واحدة. وبهذا ما وصل إليه الباحث العلمي، فنّدت النتائج دعوات بعض الأسر لتعليم أبنائها اللغة الفارسية على حساب اللغة الأم في المنزل وفي المدرسة وأن هذه الدعوات لا أساس لها من الرصيد العلمي. دعى الباحث جميع المختصين في هذا الشأن إلى الحث وتأكيد أهميّة إتقان اللغة الأم أولا في الأسرة والمدرسة والمجتمع وبعدها اللغات الأخرى.

بالسياق ذاته وجد باحثون آخرون أن البالغين الذين يتقنون لغتين يكون أداؤهم أفضل من أولئك الذين لا يتقنون إلا لغة واحدة في اختبارات الانتباه، كما أنهم يملكون تركيزاً أفضل منهم بغض النظر عما إذا كانوا قد تعلموا اللغة الثانية خلال سن الرضاعة أو الطفولة أو المراهقة. (توماس باك، ٢٠١٤: ١). وقد ألهم هذا الاكتشاف د. باك إلى بحث الفوائد الإدراكية لتعلم لغة ثانية في سن المراهقة، ولخص أن الشباب الذين تمكنوا من إتقان لغتين لديهم إمكانية أفضل في تجاهل المثيرات الجانبية والتركيز على المعلومات. ويضيف باك: من الأسباب المحتملة لهذه القدرة: العمليات التي تتم من أجل تعلم اللغتين، والحاجة إلى التحويل بين لغة إلى أخرى؛ والتي تدرب الدماغ ليكون أكثر تناغماً عند تلقيه المعلومات من خلال حاسة السمع. الدراسة التي قدمها باك كانت صغيرة في حجمها، حيث شملت ٣٨ مشاركاً من أحاديي اللغة، ٦٠ مشاركاً من ثنائيي اللغة أكبرهم سناً يبلغ من العمر ١٩ عاماً، وكلهم طلاب جامعيون وقد أدوا اختبارات ذهنية.

في دراسة أخرى درس توماس باك التأثيرات الإيجابية للثنائية اللغوية في مقدرة الذهن الإدراكية أي المعرفية؛ لذلك فقد استخدم د.باك دراسةً أجريت على ٨٥٣ مشاركاً، ممن اختُبِر معدل ذكائهم في عام ١٩٤٧، ثم اختبرهم مرةً أخرى ما بين عام ٢٠٠٨ وعام ٢٠١٠، ووجد أنه -في الواقع- أنّ ثنائيي اللغة الذين تعلّموا لغتهم الأم ولغة أخرى في هذه المجموعة قدموا أداء أفضل مما متوقَّع بسبب عمرهم المتقدم، وأظهروا فقداناً أقل لإدراكهم مع تقدم عمرهم، قياساً مع الذين يتحدثون لغة واحدة.[٤٧]

[47] 2014، https://doi.org/10.1002/ana.24158

# الفصل السادس
# اللغة والهُوية

لعل بعضهم يتساءل ما العلاقة بين اللغة والهوية ومدى شدة أو ضعف هذه العلاقة أو ما الهُوية أساساً وماذا يحدث إذا تخلينا عنها أو استبدلناها بأخرى؟ نحاول قدر الإمكان أن نجيب عن هذا السؤال وأسئلة كثيرة أخرى ذات صلة عبر منهجٍ وصفي-تحليلي في هذا الفصل من الكتاب. سبق أن تكلمنا كثيراً عن اللغة وتعريفها وعلاقتها بالنفسية الفردية كما اتضحت لنا ماهيتها أيضاً. وعلينا أن نشير الآن إلى الهُوية والإشكاليات الخاصة بالهُوية وعناصرها حتى نستطيع أن نصل إلى العلاقة بين الهُوية واللغة.

## ماهية الهُوية

جاء مصطلح الهوُية من كلمة "هو" وهي في الواقع مجموعة من السمات والصفات التي تميّز شيئاً عن غيره. يذكر الطائي بأن الهُوية مفردة عربية مأخوذة من "هو" أي الضمير المفرد للمذكر الغائب، وتعني التوحيد والانطباق مع الذات وتعادل مفردة identity باللغة الإنجليزية. (طائي، ١٣٨٢ ش: ٣٣).
كل إنسان يرتدي قناعاً واقياً دون النظر إلى عقيدته أو دينه أو مذهبه. هذا القناع يُعدّ الشيء الذي يعطي للمخاطب رؤية بدائية عن الفرد. هذا القناع

الواقي في حقيقة الأمر هو الهُوية. من منظار آخر الهوية ليست مجرد عنوان بل هذا العنوان أو القناع يحمل خلفه أسلوب الحياة الذي يتضمن المعايير والقيم وطرائق التفكير والمعرفة والسلوك والأخلاق وحتى المعتقدات.( عبد الحليم،٢٠٠٦ : ١٣٢).

لغوياً نجد تعريفاً في المعجم الوسيط يلخص لنا معنى الهُوية في كلمات مبسطة: الهُوية هي حقيقة الشخص التي تميزه عن غيره. فهي تحمل في طياتها دلالات الشخصية الجنسية.) المعجم الوسيط، ٢٠٠٠: ١٠٣٩). ويعرفها الباحث محمد بأنها حقيقة مطلقة تشمل الحقائق التي تميّز الأمم عن بعضها والتي تعبر عن شخصية تلك الأمم وحضارتها ووجودها (محمد، ٢٠١٠: ٩٤). في تعريف آخر يذكر محمد عمارة في مقالٍ عنوانه" مخاطر العولمة على الهُوية الثقافية" بأنّ هُوية الشيء هي في الأصل ثوابته أي عناصره الأساسية التي لا تتجدد ولا تتغير ويتجلى ذاتها دون أن تخلى مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة. ويصفها أيضاً بالبصمة الخاصة بكل إنسان تميزه عن غيره والشفرة التي يمكن لكل إنسان عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالفئة الاجتماعية التي ينتمى إليها والتي عن طريقها يتعرف عليه. (عمارة، ١٩٩٩: ٩٦ ).

نرى أنّ هناك صلة وشيكة بين الهُوية والانتماء وأنّ الهُوية هي التي تربط الفرد بالجماعة التي ينتمى إليها. يمكن تشبيه الإنسان بشجرة ليس بمقدوره أن ينمو ويعيش حياة عادية إذا لم تكن له جذور ثقافية عميقة (هُوية) يتغذى منها روحياً ومعنوياً ويستمد منها معاني لحاضره ومستقبله. (بعلبكي وآخرون، ٢٠١٣: ٢٢٧).

اجتماعياً الهُوية قصيدة غزل واللغة تعد مطلعها وختامها من دونها ليس للقصيدة معنى مكتمل. لهذا القوميون دائماً يعزفون على وتر اللغة الوطنية كقاعدة لتوسع القومية في كل المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. (طائي، ١٣٨٢ش: ٦٩). جيمس بول ٢٠١٥ يصنف الهُوية إلى جزأين: الفردية والجماعية . الهُوية الفردية تعرف الشخص بشكله واسمه وصفاته وجنسيته وعمره وتاريخ ميلاده. الهُوية الجماعيه (الوطنية) تدل على ميزات مشتركة أساسية لمجموعة من البشر تميّزهم عن مجموعات أخرى: المجموعة العربية الأهوازية نموذجاً. أفراد المجموعة المتماسكة يتشابهون بالصفات الأساسية التي كونتهم كوحدة الفكر والمصير الواحد و...، ربما نجد اختلافات في عناصر أخرى لكنها لا تؤثر في كونهم مجموعة متماسكة. فما يجمع الأهوازيين -مثلاً- وجودهم في محيط واحد وتاريخ طويل مشترك يمتد من العهود القديمة من عهد عيلام إلى الفترة المعاصرة، ولغة عربية واحدة وثقافة واحدة، أرض واحدة وطموح واحد. كل هذا يجعل منهم أمة أهوازية متميزة رغم الاختلاف في بعض العناصر والأفكار. إنهم يشعرون بالانتماء إلى هُوية ثقافية معينة تميّزهم عن الآخر. وبالتأكيد اللغة نوجز ونقول إنّ في اللغة العربية في الأهواز علاقة تفاعل مستمرة مع ثقافة المجموعة الناطقة بها وهي تساهم في تكوّين الهُوية الثقافية لأفراد تلك المجموعة كما تتحرك بصماتها جلية في نمط تفكيرهم وتعد ناقلاً ممتازاً للثقافة العربية الأهوازية عبر الأجيال والعصور.

ربما الثبات النسبي للهوية العربية الأهوازية هو في الواقع تبلورٌ على أساس النقيض للهُويه المركزية الفارسية التي لطالما دعت إلى إلغاء الهوية الوطنية

الأهوازية، محاولة دمجها بالهوية العامة لإيران. قضية النقيض للهُوية المهيمنة الداعية لمحو هُوية الأقلية ذكرها جيمس بول في مقال له. (بول،٢٠١٥: ١٧٤). فالإنسان حريص على ما مُنع منه. وفي السياق ذاته يشير الخبراء إلى أنّ الحفاظ على مشاعر التعاضد والتآزر الوطني والانتماء إلى هُوية مشتركة والنيل من الكرامة ينبع من اهتمام أبناء الأقلية بلغتهم وثقافتهم ذلك لأن اللغة عموماً واللغة العربية خاصةً أداة حرب أو نقطة استقطاب تتمحور عليها جلّ المشاكل التي نحياها وأنها أداة مواجهه وتغيير في زمن الحركات الوطنية (علوي وآخرون، ٢٠١١: ٣٥).

هناك أمر في غأية الأهمية وهو مدى انتماء الأفراد إلى المجموعة التي ينتمون إليها أساساً. عقدة الهُوية الاجتماعية كما يسميها "روكاس وبروور" هي في الواقع السؤال المشهور من نحن؟ فقوة انتماء الأفراد وضعفهم يأتي من أسباب كثيرة وقناعات فردية تثير سؤالا مهماً وهو: هل أبقى مع مجموعتي أم انتقلُ إلى مجموعة أخرى. بعدها تأتي قضية الاندماج بالهُويات الجديدة وهل المجموعات الجديدة تتقبل الأفراد الجدد؟ هذا النظام النظري أي عقدة الهُوية الاجتماعية تحصل لكثير من الأفراد الذين حاولوا دمج أنفسهم مع الهُوية الغالبة وفقدان هُويتهم (بروكاس و بروور،٢٠٠٢: ٨٦).

في المجتمعات المتعددة الثقافات عامةً وفي الواقع الأهوازي خاصةً يمكننا أن نلاحظ كثيراً من حالات تفاقم عقدة الهُوية. الهُوية أو اللغة المسيطرة في أغلب الأحيان لم تتقبل هُوية الأقلية. في نهاية الأمر نرى أن الفرد المنصهر يصاب بالازدواجية في شخصيته وسيواجه مصاعب نفسية في المستقبل؛

لأنه فقد هُويته بأمل أن تتقبله الثقافة الفارسية لكنها رفضته. ويذكر بروكاس وبروور أنّ عدم الالتزام بالمجموعة الحقيقية والانتساب إلى مجموعة أو مجموعات مختلفة أي هُويات اجتماعية جديدة تسبب تفاقم عقدة الهوية الاجتماعية وتشديد حدتها. لي صديقٌ يتكلم الفارسية مع طفلته الوحيدة منذ البداية وكانت له حجج لا صلة لها بالعلم الحديث وما ثبت عن فوائد اللغة الأم. في يوم من الأيام قال اليوم ابنتي رجعت من المدرسه وهي تقول لي :*بابا چرا من عربم من شرمم میاد عربم*! *همه سرکلاس به من میگن عربه* (ترجمة: أبي لماذا أنا عربية، أنا أخجل من كوني عربية، جميعهم ينادونني يا عربية-بحقارة-) رغم أنها تعلمت الفارسية لغةً وثقافةً منذ الطفولة. هذا النموذج يبيّنُ مدى فاعلية رفض الثقافة العربية رغم إصرارها للاندماج مع الثقافة الفارسية المتسلطة. فالثقافة المتسلطة (الغالبة) غالباً ما تحاول مسخ وتشويه هُوية الثقافات الأخرى (الضعيفة) وتشويهها وتركز كل طاقاتها لتنتزع اللغة أو الثقافة المقهورة وتحتوي أفرادها وحينما تتم العملية ويبدأ الفرد المقهور بتطبيع نفسه يُرفض ويعامَل كضيفٍ وارِدٍ لا أكثر. مرت الفلبين بظروف فريدة مذ جاءها الأسبان ذلك أن أسبانيا قصدتها غازية، لا عسكرياً أو اقتصادياً فحسب، بل ثقافياً ولغوياً وهكذا مضت ثلاثة قرون من كفاح دامٍ بين شعب أعزل برىء، رفض فريق منه الاستسلام، فثمن ذلك كان مزيداً من العزلة والتخلف، وغلب فريق منه على أمره واستسلم للأسبان فكان جزاؤه تقطيعاً لأصله وهويته وثقافته ولغته. وهكذا تكوّنت الأمة الفلبينية من أغلبية تأثرت أشد التأثر بالثقافة الأسبانية ولكنها في الوقت نفسه ليست أسبانية وهذا ما كان يحرص الإسبان أشد الحرص

على تنبيه الفلبيني إليه عند رجوعه اليهم فيقال له: إنك رغم كل شيء لست أسبانياً..! (وسانتوس،٢٠١٨: ٧). في السياق نفسه قرأت في كتاب " أميركا و الإبادات الثقافية" عن ظاهرة الخوف من الذات وكراهية الذات وحتى العنصرية ضد الذات وجلد الذات، الحالة التي جعلت بعض السكان الأصليين لأمريكا (الهنود الحمر) يحسب هويته كابوساً حتى وصل الحال إلى أن الهندي في أرضه يجهر بالقول: " أتمنى لو أنني لم أخلق هندياً". ومن الطبيعي أنك عندما تلقّن الطفل بسموم عن لغته وثقافته وأهله وحياته وتاريخه، أو تحاول تشنيعها، إنما تعدّ المناخ المثالي له ليكره ذاته ويبعد عن لغته وثقافته.

تُطرح بعض الإشكاليات كأزمة الهوية التي هي خارج نطاق هذا الكتاب وقد استعملها "إريكسون" للأفراد وخاصة الشباب منهم حيث أنهم قد يستطيعون أن يبلوروا هُوية سليمة وقد يفشلون في ذلك حينما يتورطون في فوضى الهُوية وتشتت الدور والشعور بالدونية والإحباط في مجتمعات متعددة الأطياف واللغات. هكذا يحاول المسيطر أن يستثمر البعد الثقافي واللغوي للأقليات حتى يشوه هويتهم الحقيقية ويزيلها أو يضعفها على أقل تقدير.

ويوكد الباحثون حتمية مجابهة الأسئلة التالية: من أنا؟ ومن أين جئت؟ وماذا أريد أن أكون؟ كما يشددون أيضاً على أن الهُوية ليست ذاتية أي فطرية تماماً، بل هي ذات قوة مخبوءة يمكن بلورتها وتطويرها منذ الأشهر الأولى (بترسيخ اللغة الأم) في حياة الأفراد. إذن الهوية تقسم إلى شقين،

أحدهما يعود إلى الإنسان أي هُوية الأنا، والآخر يعود إلى مجتمعه أي هُوية الذات حيث يقال بأنّ الهُوية والمرآة تعكس الذات المرتبطة بماضي الإنسان وحاضره ومستقبله، وإنّها تعطيه إحساساً بالتماسك الذاتي والاجتماعي (البريدي، ١٤٣٤ق: ٢٤).

نتيجةً لآراء بعض الباحثين والمفكرين وضحت لنا صورة مكتملة من الهُوية وماهيتها كي نستطيع أن نكشف علاقتها باللغة وليس المهم هنا طرح وتحليل مفهوم الهُوية وإنما بحث العلاقة بين الهُوية واللغة (الأم) في إطار علمي حسبما وصلت إليه الدراسات.

## صلة اللغة بالهُوية

قضية اللغة والهُوية والعلاقة بينهما قضية عملية وقضية سياسات تنفيذية تربوية وأيضاً أصبحت قضية وجودية لمستقبل الثقافة والمجتمعات. فأصبح استعمال اللغة الأم في عملية التعليم أو التشديد على لغة غير اللغة الأم في وسائل الإعلام المرئي والمسموع وبالعكس جزءاً من صناعة الهوُيات. (بعلبكي وآخرون، ٢٠١٣: ١٣). بعبارة أخرى استخدام اللغة الفارسية في النموذج الأهوازي يخلق حالة من ضياع الهُوية العربية واقتراض هُوية أخرى أو هُوية مزدوجة في أقل تقدير.

اللغة الأم لها صلة قوية بشخصية الفرد وبهُويته فنرى الفرد مهما تعلم لغات أخرى وأتقنها سوف يجد نفسه في اللحظة الحميمية أو لحظة بعيدة عن التصنع يعود إلى لغته الأم من تلقاء نفسه. في أدبيات الحرب العالمية الثانية

يدور الحديث في جاسوس ألماني، استطاع أن يتقن اللغة الفرنسية إتقانًا كاملاً، بحيث لا تبدو في نطقه أية لكنة أجنبية، واستطاع عن طريق ذلك أن يتسرب إلى أكثر الأوساط خصوصية في عالم السياسة والحرب، حتى شك خبراء مكافحة الجاسوسية أنفسهم في ظنونهم المثارة حوله، وأخيراً أشار أحد الخبراء اللغويين إلى إمكانية استثارة اللغة الأم في لحظة انفعال مفاجئ فتعقبه أحد المراقبين في أثناء سفره في القطار وهو منهمك في قراءة الجريدة، صفعه في وجهه صفعة قوية أغضبته فرد عليه بعبارة استنكار بالألمانية قبل أن يشتبك معه، وكان هذا وحده كافياً لإثارة اللغة الأم عنده، وإدراك أن لغته الفرنسية المتقنة، إنما هي لغة مكتسبة، وأنه في نهاية المطاف جاسوس ألماني، وذلك ما أراد خبير اللغة أن يكشفه، وباستثارة اللغة الأم، وعلاقتها الحميمة بهُويته. فهذه اللغة الأم تفضح انتماءنا في لحظات الخوف والفرح فكلما حاولنا التخلص من هذا الخيط الرفيع لنمسك غيره يزداد التفافا حول أعناقنا. اللغة الأم تكوّن عاملاً رئيسياً في هُوية الفرد المنتمي إليها فيتشبث بها حين تخونه اللغات الأخرى، وأنها بهذا تؤهل الفرد لكي يلتحق بجماعة أكبر تنتمي إلى اللغة ذاتها، بدءًا من الجماعة الصغيرة في الأسرة الواحدة وامتداداً إلى الجماعات الأكبر في القرية أو الإقليم أو المنطقة أو الولاية أو الدولة أو غيرها من مسميات التجمعات البشري. (درويش، ٢٠١٠: ٣).

تعتمد آراء الباحثين والمفكرين على أن اللغة هوية وليست مجرد نظام من الرموز والإشارات وأداة للتواصل فحسب بل هي كائن حي وفاعل في إعادة

إنتاج الهُوية وتطويرها أو تدهورها. وقد أكد اللغويون العلاقة القوية بين اللغة والهُوية؛ لأن اللغة هي بمنزلة الظرف الذي تعجن فيه الهُوية وهي التي تجعل لكل أمة كيانها الخاص بها الذي يميّزها عن سائر الأمم والثقافات. في السياق ذاته نشير إلى أن هناك ظاهرتين مهمتين لتعزيز هوية الفرد لا سيما عند الشعوب المقهورة وهما اللغة والتراث الظاهري، فاللغة تعد باطن الهُوية والتراث(الفلكلور، الزي و...) ظاهرها وحينما تُشطب إحدى هذه العلامات ستكون الهُوية ضبابية ومشوهة.

"نجلاء بشور" تدرس اللغة من زاوية تربوية ثقافية وتوصفها بأنها عنصرٌ أساسيٌ من عناصر الثقافة وتحديد الهُوية كما أنها الوسيلة الفضلى لتعلم الفرد وثم تقدم المجتمع إذ ما من مجتمع نما بغير لغته الأصلية.(بشور، ٢٠١٣: المقدمة). يشير الخولي إلى أن لغة الأمة هي مصداق هُويتها ونسغ حياتها ووعاء ثقافتها ومتجلى حضارتها ومرآة نهضتها وحاضنة تراثها وهي ذاكرة الأمة وتاريخها ووجود أي أمة مرتبط بوجود لغتها والأمم التي انقرضت لغاتها أو ضعفت زالت من الوجود ولا بقاء لأمة يتخلى أهلها عن لغتها. (الخولي،٢٠١٥: ١). عندما نقرأ تاريخ اليونان نجد أن اليونان عرفت قبل كل شيء باللغة. أشعارهم الملحمية وأفكارهم وفلسفتهم تمثلت في لغتهم، وما يقال في اليونان يقال في الروم ويقال في العرب أيضاً. فالروم يدينون للغة اللاتينية التي نشروها في العالم ومكنتهم من بناء إمبراطورية كانت قوية بقوة اللغة اللاتينية. ولا أظن أن أحداً ما يجهل الدور الذي لعبته اللغة العربية في حياة العرب وغيرهم.

يقترح البريدي تعريفا يظهر فيه الامتزاج القوي والوطيد بين الهُوية واللغة فبعد نقل آراء المنظرين في اللغة يؤكد البريدي أن أي تعريف للغة لا يعترف بمحورية الهُوية يعد ضرباً من اللغو المفاهيمي الذي لا قيمة كبيرة له ويعرف اللغة بأنها هُوية ناطقة. (البريدي،١٤٣٤هـ: ٢٨-٣٠).

تتضح لنا العلاقة الوشائجية بين اللغة والهوية وارتباطهما الوثيق. كثيرٌ من المفكرين والباحثين لا يختلفون في الارتباط الوثيق بين اللغة والهوية ويؤكدون تلازمهما. جون جوزيف يذكر أن الهُوية لا يكتمل مدلولها إلا في جوهر اللغة. (جوزيف،٢٠٠٧: ٢٨٤). وفي السياق ذاته مارتين هايدغير قال في هذا المجال: إنّ لغتي هي مسكني وموطني ومستقري وهي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه ومن نوافذها ومن أعينها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع. (المصدر السابق، ٢٨). محمد أمارة يرى أنّ لغة الفرد من المؤشرات ذات الأهمية لهُوية الفرد والجماعة التي يعيش بينها. (إمارة،٢٠١٠: ٢٦). وبما أن الإنسان يحيا ويعيش في لغته أكثر من وطنه؛ بتعبير آخر يرى بعضهم أنّ اللغة هي أم الرموز الثقافية المشكلة لهُوية الإنسان (الذوادي،٢٠٠٥: ٥٦). باحثون آخرون يشيرون إلى أنّ هُوية كل مجتمع تتأسس في إطار لغته. (حيدر،١٩٩٧: ١٣٦) . الحصري يذكر أن اللغة كالشريان الذي تسري فيه دماء الهُوية فارتباطهما وثيق وقوي، متلازم تلازم الجسد والروح؛ لأن اللغة التي ينشأ عليها الإنسان تكيف نمط تفكيره كما أنها تؤثر على عواطفه أيضا. كذلك نجد أنّ وحدة اللغة توجد نوعاً من الوحدة في التفكير وفي الشعور وتربط الأفراد بسلسلة

طويلة معقدة من الروابط التي تربط الأفراد بالجماعات. (الحصري، ١٩٨٥: ٣٦).

فالارتباط بين اللغة والهوية لا جدال فيه واللغة مكون أساسي من المكونات التي تميز الفرد عن الآخرين وتماثله مع من يشاركونه فيها وهي خير حافظ لتاريخه وتراثه وهي الرابط المتين الذي يربط الفرد بأمته وأهله وأرضه ولا شيء مثل اللغة يعبر عن هُوية الناس. (النجار، نقلا عن البريدي ١٤٣٤ق). تطرق أيضاً الباحث عاشور صياحي عن هذا الرابط المتين بين الفرد والمجتمع بواسطة اللغة إذ يشير إلى أن الفرد الأهوازي إذا هجر لغته العربية فإنه يهجرها بفعل الضغوط البنيوية الآتية من أيديولوجية الأحادية اللغوية الفارسية والعوامل الاقتصادية والاجتماعية المترتبة عليها. فهو عندما يختار اللغة الفارسية على أنها اللغة الوحيدة للتواصل ينسى لغته الأم ويفقد صلته بنسيجه الاجتماعي العربي ويتعذر عليه اكتساب سماته الثقافية والهُوويّة المنسجمة مع ذاته العربية. (صياحي، ٢٠١٦: ٧).

إذن ينبغي أن نعترف أن اللغة جزء أساسي من هُوية أي مجتمع وبقدر ما يفرط المجتمع بلغته يفرط بهُويته أو يعرضها للمسخ والتشويه وهي شرط ضروري للنهضة ولصناعة الحضارة. لكل شعب متماسك لغة خاصة تعبر عن هُويته وتنقل موروثه الثقافي والمعرفي وتميزه عن غيره من الشعوب.

فهذه الهبة جزء لا يتجزأ من شخصية الإنسان وتبقى وإن زاحمتها لغات أخرى فيما بعد هي أقرب اللغات إلى التعبير عن الخلجات الدقيقة، وتأتي أهمية اللغة من أنها وسيلة لإنقاذ الهُوية. كي نعطي صورة كاملة في علاقة

اللغة بالهُوية علينا أن نشير إلى بعض التجارب التي حدثت في أنحاء مختلفة من العالم.

**التجربة اليهودية**

يذكر الخولى أن اللغة العبرية كانت من اللغات الميتة وقد نجح المتحدثون بها في إحيائها من الموت ولمها من الشتات فمنذ منتصف القرن التاسع عشر قامت مجموعة من شباب اليهود الأروبيين بحركة لإحياء اللغة العبرية وكان من أشهرهم إليعازر بن يهودا الذي دعا إلى إحياء اللغة العبرية بجعلها لغةَ التخاطب في الحياة اليومية ونادى بشعار "لا حياة لأمة من دون لغة" وفي عام ١٨٨١ هاجر إلى فلسطين مع زوجته وأسرته وفرض اللغة العبرية لغةً للتخاطب والحديث بين أفراد أسرته رغم أنها كانت لغة ميتة مثل اللغة اللاتينية لا يستخدمها أحد إلا في طقوس خاصة كالطقوس الدينية ورغم سخرية الناس منه ألا إنه أسس رابط المتكلمين بالعبرية في فلسطين وأصدر مجموعة من الصحف باللغة العبرية في القدس العربية وقام بإعداد معجم للغة العبرية وأنجز منه تسع مجلدات في حياته وأكمله تلاميذه بعده إلى تسعة عشر مجلداً. جهود هذا الرجل أرغمت المتمولين إلى إنشاء مدارس ومعاهد تدرس كل موادها باللغة العبرية بما فيها التاريخ والجغرافيا والرياضيات. وهكذا اهتمّوا بتلقين العبرية بأنّها اللغة المقدسة وبعدما استقروا في فلسطين حرصوا على ذكر المواقع والأماكن باللغة العبرية فالضفة الغربية هي سامراء وغزة يهودا والخليل حبرون وبئر سبع هي بئر شيفع. (الخولى، ٢٠١٥: ٣).

انطلاقاً من دعوة إليعازر بن يهودا أصبحت العبرية شديدة الحيوية كما أصبحت تكوّن نبض الأمة وهكذا جسدت هذه المحاولة الناجحة تماسك الهُوية اليهودية بفضل اللغة وأحييت من العدم، إذن اللغة تعد الركيزه الأساسية للحفاظ على الهُوية وهي سر وجود الأمم وهي الحصن المنيع الذي يخلص أمة ما من شر الذوبان والانغماس بثقافة ثانية.

## التجربة اليابانية

ومما يدل على أهمية اللغة في توحيد الصفوف بين أطياف الأمة، كثيرٌ من الشعوب التي هزمت عسكرياً تمسكت بلغتها واستطاعت أن تحافظ على كينونتها . فاليابانيون بعد ما هُزِموا في الحرب العالمية الثانية خضعوا لشروط أمريكا لكنهم رفضوا التخلي عن لغتهم الوطنية وتمسكوا بها واستعملوها في معاهدهم وجامعاتهم بقوة ودخلوا بها مشارف الحياة العلمية والصناعية المتطورة.

## التجربة الكورية

حينما وقع الكوريون تحت احتلال اليابان فرض اليابانيون لغتهم عليهم ومنعوهم من التعليم بلغتهم الأم ولكنهم سرعان ما رجعوا إلى أحضان اللغة الكورية بعد تخلصهم من الاحتلال الياباني. اهتمّ الكوريون بلغتهم وجعلوها لغة التعليم وكتبوا جميع لافتاتهم وأسماء محلاتهم بالكورية الفصيحة وفي

حال الاضطرار إلى كتابة أسماء أجنبية كما في السفارات والفنادق كانوا يكتبونها بالحروف الأجنبية الصغيرة تحت الحروف الكورية الكبيرة.

## التجربة الويلزية

يُعدّ ويلز جزءاً من المملكة البريطانية. برزت هوية ويلز الوطنية بعد انسحاب الروم من بريطانيا في القرن الخامس الميلادى وبعد قتل أمير الويلز في١٢٨٢م تمكن إدوارد الأول البريطاني من غزو بلاد الويلز وضمها إلى بريطانيا. تمكن الويلزيون من استعادة أراضيهم واستقلالها من يد الإنجليز لفترة. لكن بعد هذا الاستقلال الموجز أُحتلتْ وضُمت مرة أخرى إلى بريطانيا. بقراءة تاريخ ويلز يتضح لنا أن على الرغم من اشتراك ويلز في تاريخ سياسى واجتماعى مع بقية أجزاء بريطانيا وانتشار اللغة الإنجليزية بين معظم سكانها إلا أنّ بلاد ويلز تحتفظ الآن بهُوية ثقافية وطنية موحدة تختلف عن بريطانيا حيث إنها تُعدّ ولاية ذات وجدان وطني تهتم بثقافتها ولغتها وتسمية أبنائها وشوارعها وبلداتها باللغة الويلزية ولا تساوم بلغتها لأنها رمزٌ يثبت هُويتها ووجودها.

## التجربة البنغالية

في عام ١٩٥٢ أطلقت الشّرطة الباكستانية النّار على المتظاهرين في دكا (عاصمة بنغلاديش اليوم) حيث كانوا يطالبون آنذاك الدولة الباكستانية بالاعتراف بحقوقهم اللغوية، والنتيجة كانت سقوط ضحايا بالجملة. حدث

هذا قبل انفصال بنغلاديش عن باكستان عام١٩٧١م وعرفت الحركة البنغالية بحركة اللغة البنغالية وتعد انقلاباً لغوياً أو بما سميت حركة اللغة. عندما كانت بنغلاديش تعرف باسم شرق باكستان طالبت بالاعتراف باللغة البنغالية كلغة رسمية في الدولة كي يُؤْذَن بتداولها في الشؤون الحكومية والتعليم ووسائل الإعلام والحياة اليومية. في عام ١٩٤٧م قُسِمَتْ الهند إلى دولتين لكل منهما سيادة مستقلة.

عندما أنشئت حكومة باكستان الحديثة كانت تتألف من مجموعات عرقية ولغوية متنوعة وغير متصله بإقليم بنغال الشرقي الذي أُطلق عليه في عام ١٩٥٩م باكستان الشرقية. وفي عام ١٩٤٨م فَرضت الحكومة الباكستانية اللغة الأردية اللغة الوطنية الوحيدة للبلاد ما أثار احتجاجات واستنكارات واسعة ونزاعات طائفية للأغلبية المتحدثة باللغة البنغالية في بنغال الشرقية، وفي يوم من الأيام الثورية تحدى طلاب جامعة دكا وغيرهم من الناشطين السياسين ذلك القانون وتلك الحكومة ونظموا مسيرات للتعبير عن اعتراضهم في ٢١ فبراير١٩٥٢م ووصلت الحركة الاحتجاجية إلى ذروتها عندما قتلت الشرطة مجموعة من الطلاب المتظاهرين في ذلك اليوم وأثار قتل الشباب اضطرابات في المدينة. وبعد كل هذه الصراعات تراجعت الحكومة المركزية عن قرارها ومنحت الصفة الرسمية إلى اللغة البنغالية عام ١٩٥٦م. في عام ١٩٩٩م أعددت اليونسكو يوم ٢١ فبراير اليوم الدولي للغة الأم وعطلة رسمية وذلك تكريماً لحركة اللغة واحتراماً لمطالب وحقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم. وحفزت حركة اللغة على تأكيد الهُوية

الوطنية كولاية باكستان الشرقية التي أصبحت رائدةً للحركات القومية البنغالية والتي انتهت بتحرير بنغيلاديش في عام ١٩٧١م.

## التجربه الأمازيغية

الشعوب الأمازيغية من أقدم الشعوب التي قطنت المناطق الشمالية لإفريقيا ويعد الأمازيغ السكان الأصليين لهذه المناطق ويشهد التاريخ على وجود منطقة أمازيغية. على الرغم من هذا فإن الأمازيغ كانوا دائماً قاعدة تجلب أنظار المستعمرين والمحتلين. بوذراع يشير إلى الحركة القومية العربية التي انتهت بتنازل بعض الأمازيغ عن هُويتهم ودمجهم مع العرب. يذكر بوذراع أن الأنظمة العربية المسيطرة عملت على تجفيف شعور الانتماء عند الأمازيغ وجلبهم في وعاء العروبة وأنّ القضية الأمازيغية تُعدّ قضية شعب مطموس الهُوية. تمّت عملية هذا الطمس الهووّي نتيجة غسيل الدماغ وتحقير لغتهم وتاريخهم ونعتهم بالبرابرة يملكون لغة تتكلمها الوحوش. ونتيجة هذا كان إقصاء تدريس وتعلم اللغة الأمازيغية في المدارس ومحو مادة التاريخ الأمازيغي. على رغم كل هذه العمليات التهميشية التي حدثت لتضعيف الهُوية واللغة الأمازيغية إلا أنّ الحركات الشبابية الأمازيغية استرجعت قوتها ونشاطها وقواعدها في مختلف النقاط التي تقطنها هذه الشعوب المضطهدة. (بوذراع، ٢٠١٧: ٨٩).

فبدأت الحكومات بالاعتراف بالشعب الأمازيغي بوصفه شعباً عريقاً له ثقافته وهُويته ولغته وبدأت بتدريس اللغة الأمازيغية في المدارس والمعاهد بل وأصبحت اللغة الأمازيغية لغة رسمية دستورية في بلاد كالجزائر والمغرب ولغة وطنية في مالي والنيجر.

## التجربة الأهوازية

إنّ عجلة الزمن وتغيير السياسات اللغوية لا تقهر الهُوية العربية واللغة العربية بقيت ترفرف كعلم في سماء الأهواز رغم المحاولات العديدة للتقليص من أهميتها. فالأهواز كانت ملتقياً لمختلف التيارات وذلك بسبب موقعها الجغرافي والإستراتيجي، لكنها حفظت صورتها العربية السامية وبقيت متمسكة بهُويتها. لا ننكر تقاعس البعض عن هُويتهم ولغتهم، وهذا أمر طبيعي في ظل الإعلام الهادف للتقليل من عظمة الثقافة العربية. لكن المجتمع الأهوازي اليوم يُعرَف بعروبته وهذا بسبب الجهود الجبارة التي قام بها أبناء هذه الأرض. ففي مختلف المدن والقرى عمل أبناء الأهواز على حماية اللغة العربية لكونها هُوية وطنية ترمز إلى الأهواز كونه شعباً متماسكاً. إلى جانب الاهتمام العائلي باللغة الأم، الحماية كانت تأتي بإقامة احتفالات وندوات مختلفة) للندوات الأدبية بصمة في بلورة الهُوية الأهوازية(وعلى رغم الظروف الثقافية واللغوية العصيبة إلا أنّ أبناءَ الأهواز اهتموا بإقامة مسابقات ومهرجانات لحفظ الشعر العربي للأطفال وبلوروا أهمية اللغة العربية. طيف آخر من الأهوازيين اهتمّ بالكتابة والطباعة ونشر المقالات والكتب باللغة

العربية حتى أغنوا المخزون الثقافي للأهواز. ولعل ما يلفت النظر هو طباعة الكتب والدراسات في مواضيع مختلفة غير الأدب لمدة بين أعوام ٢٠١٠-٢٠١٩. من الملفت للنظر أنّ هناك قائمة كبيرة من مجلات وصحف طبعت ونشرت في الأهواز والتي أثرت إيجابا على المعرفة والوعي الهووي العام في الشارع الأهوازي منها: مجلة الأهواز، صحيفة عرب إيران، أسبوعية الكفاح، الشورى، صوت الشعب، نشرية نسائم، نشرية المستقبل، نشرية الرسالة، نشرية ابتسامة الحرية(عربية-فارسية)، نشرية الحوار الطلابية، شهرية البيان، مجلة العصر، نجوى القلم، مجلة المداد الإلكترونية، مجلة هنا الأهواز، مجلة اقرأ، مجلة حبر أبيض المعنية بقصيدة النثر، مجلة حبر أبيض الثقافية المتنوعة، مجلة النوابت( عربية-فارسية)، وغيرها. أيضا اهتم الكثير من الكتّاب والمثقفين بنشر أعمالهم من شعر وقصص و يوميات على مدونات ومواقع شخصية وعامة عدة من أبرزها موقع "أنا مثقف الأهواز"الذي أصبح منصة للكتّاب الأهوازيين ونشر أعمالهم العربية. أيضاً استغل بعض الناشطين وسائل التواصل الاجتماعي فرصةً لنشر كل ما يرتبط باللغة والهُوية العربية (لا سيما الاحتفالات الأسرية السنوية باليوم العالمي للغة العربية) ما أنتج وعياً شاملاً بين أوساط الشعب الأهوازي. المجموعات الشبابية أدركت أنّ اللغة الأم لأي أمة من الأمم هي عماد هويتها ولا بُدّ من التركيز عليها تركيزاً خاصاً. هؤلاء أدركوا أنّ اللغة هي التي تحفظ كينونتهم وتحدد ذاتهم وهي مصدر كل القوى وإذا أضاعوها سيضيعون الماضي والحال والمستقبل معاً. لا شكَ أن هنالك صلةً وثيقةً بين الهيمنة اللغوية والقوة

الثقافية والاقتصادية. فاللغة تصبح قوية بقوة ناطقيها، ويعدها بعضهم القوة العسكرية والقوة السياسية للشعوب على وجه العموم وللشعوب المضطهدة على وجه الخصوص .كذلك أدرك كثيرٌ من الأهوازيين أنّ اللغة الغالبة لغة مدمرة عادةً، وتنتشر كالوباء الثقافي والحضاري في الأسرة والمدرسة والمجتمع حاذفة الأصوات المميزة والهُويّات والإنجازات الحضارية للمجتمع المغلوب.

ومن ذلك فإن اللغة هي المكون الذي يبني الإنسان و يبني التاريخ بكل شموليته وبكل ما ينطوي عليه من القضايا في مختلف جوانب المعرفة الانسانية. وبما أن للمسألة اللغوية في الوطن العربي حيّزاً مركزياً من حيث موقع اللغة العربية من الهُوية الثقافية الإسلامية؛ لذلك فإن اللغة العربية عامةً وفي الأهواز خاصة تتسم عن غيرها بخصوصيات تجعل منها لغة مهمة وحية يجب الحفاظ عليها عبر الأجيال القادمة؛ لأنها لغة لا تتراجع ولأنها تتميز بقدرتها على مواكبة التحولات الثقافية العالمية وعلى التكيف مع مختلف الأوضاع الحضارية. (عمروني و بوفادن، ٢٠١٣: ١١).

كل هذه التجارب التي ذُكرت وتجارب أخرى توضح أهمية اللغة في توحيد ناطقيها والنهوض بالشعوب التي هزمت عسكرياً، لكنها في المقابل انتصرت بلغتها وثقافتها وهُويتها. إذن بالاقتراب من الهُوية تقترب اللغة ويحيى الوجود وبالابتعاد من الهُوية تبتعد اللغة ويضعف الوجود فيغترب المقهور لغويا ويخرج عن مساره وتتغير معالم منطقته إلى هُويات ولغات وثقافات أخرى تحتلها دويلات عرقية وطائفية. (بعلبكي وآخرون، ٢٠١٣: ١٩٩).

بعد ذكر هذه التجارب ينبغي أن نقول نَّ اللغة هي الجسد والهُوية هي الروح، ولا يمكن فصل الروح عن الجسد. العلاقة بين اللغة والهُوية علاقة وشيجة جداً حيث لا نستطيع الفصل بينهما. فكل محاولة لطمس اللغة أو تشويهها هو طمس للهُوية. هُوية الشعب الأهوازي هُوية عربية والتي تميزه كونه مجتمعاً عربياً من غيره من المجتمعات ومن ركائزه المميزة اللغة العربية والدين الإسلامي والثقافة الأهوازية العريقة التي تمتد جذورها إلى الألفية الثامنة قبل الميلاد، والتراث المادي والمعنوي والمصير المشترك، فالوجود العربي مرتبط بهذه الركائز لا محالة. الهُوية الأهوازية بكل ركائزها تواجه تحديات صعبة في ظل الأجواء المسيطرة عليها والتي يرتبط بعضها بنفوذ اللغة الرسمية في المدارس والدوائر والإعلام. فينبغي أن نولي اهتماماً كافياً لتعليم العربية وقواعدها وآدابها وفنونها بين أبنائها وبناتها حتى لا تتسع الأخطاء اللغوية والخلط بين اللغة الأم واللغة الفارسية فإذا حدثت فهي حادثة كبرى يمكنها أن تعرض الهُوية الأهوازية للمسخ والتشويه.

# الفصل السابع
# الإمبريالية اللغوية

أغلب اللغات التي عدتها منظمة اليونسكو لم تعد تستخدم بسبب الإمبريالية اللغوية أو سيطرة بعض اللغات على بعضها. هناك ما يقارب الثلاث عشرة لغة تعد المسيطرة في العالم وإنّ الاستعمار والاحتلال السياسي والجغرافي كان سبباً أساسياً لهذه الإمبريالية فانحصرت لغات العالم بمجموعة من اللغات والتي تعد الآن الأكثر تداولا واستخداماً بين البشر وذلك بسبب حرصهم للمحافظة على التحدث فيها وتناقل مفرداتها وتعابيرها بينهم عبر الأجيال المتتالية. إضافة إلى الهيمنة السياسية هناك أسباب أخرى كالعولمة والتكنولوجيا الحديثة والاستعمار الثقافي (المؤثر عبر الحدود حتى) تقتل أو تضعّف اللغات الضعيفة في مختلف العالم. عدد من اللغات يموت موتاً طبيعياً في كل سنة، بمعدل ٢٤ لغة سنوياً؛ ما يعني أن نظرية البقاء للأصلح أو بالأحرى الأقوى تصح على اللغات أيضاً، وأنّ اللغة الواحدة قد تكون في طريقها إلينا.

**السياسة اللغوية**

السياسات اللغوية هي في واقع الأمر خطط تتخذها الحكومات تجاه لغة أو

لغات حية في جغرافية سياسية معينة. هذه السياسات تعطي سبلاً ظاهرة وخفية لتعزيز أو تضعيف اللغة أو اللغات المستهدفة.

من ضمن هذه السياسات أو بالأحرى السياسة اللغوية الأكثر تطبيقاً على الشعوب والأقليات العرقية أو الإثنية هي الإمبريالية أي السيطرة اللغوية؛ السياسة اللغوية هي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية وبالتحديد بين اللغة والحياة والوطن. (حمزة، ٢٠٠٨: ٢٢١).

بما تخص السيطرة اللغوية -محورنا الأساسي في هذا الفصل- كتب روبرت فيلبسون في كتابه الإمبريالية اللغوية بأنها مفهوم لغوي يتضمن نقل لغة مهيمنة إلى فئة، مجموعة أو قومية أخرى. بالطبع هذا النقل المنظم والمبرمج يُعدّ من علامات القوة للسلطة المهيمنة. كانت القوة العسكرية في الماضي هي التي تتبنى عملية النقل، لكن في العالم الحديث العامل يكمن في الهيمنة الاقتصادية والثقافية أكثر من القوة العسكرية. يذكر فيلبسون أيضاً النقل المحتمل من بعض جوانب الثقافة أو كلّها بمختلف عناصرها مع اللغة. ولأن العلاقة بين اللغة والثقافة جداً قوية ومعقدة فكثيرٌ من علماء اللغة ينظرون إلى الإمبريالية اللغوية في إطار الإمبريالية الثقافية. بمعنى آخر، إن السيطرة اللغوية هي في واقع الأمر سيطرة ثقافية تستقوي جيلاً بعد جيل . (فيلبسون، ١٩٩٢: ٣٦).

تأتي السيطرة اللغوية باستخدام بعض الحجج الواهية لتسهيل الهيمنة واستمرارها وحفظ بنيتها كعصا الاستعمار: في هذه الحالة تعد اللغة المهيمنة هي اللغة الوحيدة الغنية بالتعابير وهي البوابة الرئيسية للعالم الخارجي وأنّها

تمثل التحضر والنبالة والتقدم المادي والمعرفي. كل هذه تعد من الإدعاءات التي استعملتها القوى المسيطرة على المجموعات الصغيرة والضعيفة كآلة لتوسيع قدرتها وثقافتها. عندما احتل الفرنسيون الجزائر عام ١٨٣٠كان مفكرو فرنسا يشاورون السياسيين ويحرضونهم بالقول: إن عليكم أن تبذلوا قصارى جهدكم لبسط اللغة الفرنسية في المدن والقرى العربية، في المقاهي والمدارس والجامعات والأماكن العامة والخاصة؛ دعوا كل قنوات المذياع تتكلم الفرنسية وتنشرها فبسيطرة اللغة ستسيطرون على عقول العرب وعلى هُويتهم وثقافتهم. غزو أي إمبراطورية بمنظار واضعي الإستراتيجيات الاستعمارية هو إخضاع العالم أو مساحة شاسعة للغته وآدابه وأفكاره وقوانينه. إنهم أدركوا أنّ سيطرة لغتهم ستخدمهم على نحو أفضل لتحويل الشعوب في المستعمرات لتصبح أكثر إخلاصاً لهم وأكثر فائدة لاستمراريتهم. إنّ هذه تعد أنجع وسيلة لتمرير سياساتهم؛ فيسيطرون على ابن البلد منذ الطفولة بحيث يواظب على مخالطتهم و يتقمص عاداتهم و باختصار يفتحون له المدارس التي يتكون فيه عقله بحسب إرادتهم، هذا العقل يكون بطبيعة الحال باللغة الفرنسية. (بعلبكي وآخرون، ٢٠١٣: ١٢٥).

أدرك الفرنسيون دور اللغة العربية في توحيد المغرب ضد الغزاة لهذا صرح "جاك بيرك" الفرنسي بهذا الدور إذ قال: "إنّ أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا. إنّ هذه الكلاسيكية العربية عامل قوي في بقاء الشعوب العربية". (أنور الجندي،١٩٨٢ :٣٠٤).

فبدأ الفرنسيون بتقوية اللغة الفرنسية ودعمها والحراك السريع لضرب اللغة الأم واحتقارها وتجنيد النخبة المثقفة المتماهية الموالية للاستعمار وتمكينها وإغرائها بوسائل متعدده ليعززوا اللغة لفرنسية ويحقروا اللغة العربية، وأيضاً بدأوا ببناء مؤسسات ومشاتل تصوغ نخبة الغد وتطالب بالتخلي عن اللغة العربية والعمل جاهدين على إضعافها وتحقيرها وربطها بالتخلف والقبلية والجمود.

كانت هذه الأفكار الاستعمارية أقوى من العسكر فمثلاً جون نيكول فاركهار[٤٨] يردد:"تمكنت سياسة التعليم الجديدة من خلق رجال يفكرون ويتكلمون بروح إنكليزية" وعبر الوسيلة المتاحة والسهلة أي اللغة. أما شارلز تريفليان[٤٩]، أحد قادة استعمار الهند يقول:" إن هؤلاء الرجال(السكان الأصليين) تعوّدوا النظر إلينا بأدبنا وكتبنا، ولهذا فلا يصفوننا غرباء. إنهم يتحدثون في رجالنا العظام بنفس الحماسة التي نتحدث فيهم بها. لقد تعلموا ما تعلمنا، واهتّموا بما اهتممنا، والتزموا بما التزمنا".من المنظرين الذين لعب دوراً بارزاً في السياسات الاستعمارية لبريطانيا هو مكولاي[٥٠] الذي كان يعتقد:"لا أظن أبداً أننا سنقهر هذا البلد مالم نكسر عظام عموده الفقري التي هي لغته وثقافته وتراثه الروحي. فخضعت الهند لجراحة عقلية حاولت فيها الإدارة البريطانية اقتلاع ثقافة الهنود ولغاتهم وآدابهم وعلمائهم لمصلحة اللغة الإنجليزية والتعليم الجديد. نعم هكذا فعل المنظرون المستعمرون ليقضوا على هُوية

---

[48] J. N. Farkuhar

[49] C. E. Trevelyan

[50] T. B. Macualay

البلدان التي يدخلوها. إنهم قد تيقنوا أن أطفال هذه البلدان يموتون في هذه المناهج المفروضة كالذباب، فنسبة ضحايا الحروب واستخدام القوى المفرطة أقل بكثير من نسبة الضحايا في هذه المدارس!

السياسيون لهم الدور الرئيس في استمرارية اللغة أو موتها. وقد كانت اللغة العربية فترة امتداد الدولة الإسلامية زمن الخليفة الثاني هي اللغة الشرعية المهيمنة؛ لأنها كانت لغة الأقوى إذ الناس تبع للسلطان وعلى دينه. (بعلبكي وآخرون،٢٠١٣: ١٥٥). الوردي يقول كانت اللغة تنمو وتزدهر إذا شجعها الأمراء وصانعو القرار وتنافسوا على تحبيذها، وتخمد إذا التهى الأمراء عنها بملاه أخرى. ويُذكر نموذج على هذا في حياة الأمير خزعل الكعبي [٥١]سابقاً. فقد كان هذا الأمير مقصداً لكثير من الشعراء والأدباء الذين كانوا يحسنون اللغة الفصحى ولا يجدون سوقاً لهم بين عامة الناس. فهؤلاء كانوا يهيئون القصائد الرنانة في مديح الأمير ويقدمون لها بديباجة شهية من الغزل، ثم يشدون الرحال إلى المحمرة. وقد كان آنذاك عالمان منفصلان: عالم اللغة العربية الفصحى التي كانت تزخر بتمجيد المثل العلياء والمبادئ السامية، وعالم اللغة العربية السوقية التي كانت تزخر بمشاكل الحياة وأمورها. (الوردي، ٢٠٠١: ٧٢). على صعيد الاهتمام العلمي واللغوي أسس الأمير خزعل الكعبي ١٠ كتاتيب للتعليم حتى عام ١٩٠٨م ومن ثم بادر إلى تأسيس المدارس العامة في عام ١٩١١م. أسس المدرسة الكاسبية وبعدها أسس المدرسة الخزعلية. ثم بعدها

---

[51] خزعل بن جابر بن مرداو بن علي بن كاسب، أمير من أمراء الأهواز في عهدي القاجاري والبهلوي. ولد هذا الأمير في عام ١٨٦١ للميلاد وانتهت إمارته عام ١٩٢٥ على يد رضاشاه واغتيل عام١٩٣٦)

شَيّد المدرسة الجعفرية. المواد التي كانت تدرس تحتوي على علوم القرآن والرياضيات والجغرافيا وتأريخ الإسلام والصرف والنحو وبعض اللغات الأجنبية .والجدير بالذكر أن كل المواد كانت تدرس باللغة العربية .وكان الأمير خزعل يطمح إلى تأسيس مدارس عليا فبادر بإنشاء دائرة للتربية والتعليم. يذكر أن بعد أسر الشيخ خزعل تغير اسم المدرسة الخزعلية. (اللامي، ١٩٨٥: ٧٧).

فموضوع اللغة الأم من أخطر المواضيع التي مرت بنا في هذا العصر ولقد بدأت السلطة البهلوية عندما فرضت اللغة الواحدة. أول خطوة قامت بها هي إصدار الأوامر والقرارات بإلغاء تعليم المناهج العلمية العربية من معاهد ومكاتب ومدارس تنشط اللغة الأم واستبدالها باللغة الفارسية وكانت لها طرقها وآلياتها وحججها. حتى نكون واضحين أكثر، في عام١٩٢٥م عندما جاء رضا شاه، قمع الناس وأغلق المدارس العربية والمكاتب التي كانت موجودة في الأهواز ومنع الدراسة باللغة العربية.[٥٢] وكان الطلاب في المدارس يواجهون تعذيباً جسدياً يسمى "الفلك" حين التكلم باللغة العربية الأم وفُرضت الغرامة على كل طالب أهوازي ينطق بالعربية ) كان مقدار الغرامة ٥٠ شاهي)[٥٣]. إضافةً إلى المشروع الممنهج الذي اتّخذه رضا شاه في الممارسات

---

[52] E.sunderland,Pastoralism, Nomadism and the Social Anthropology of Iran, the Cambridge History of Iran,vol1: the Land of Iran, p.642.

[53] كان يتلذذ بعض الأساتذة بتعذيب الأطفال في المدارس الأمريكية التي يذهب إليها من اطفال الهنود الحمر فمثلاً في مدرسة آلبرني ضبطت مجموعة من التلاميذ وهم يتحدثون بلغتهم الأم فعوقبوا بغرس إبر خياطة طويلة في ألسنتهم لمدة نهار كامل، وعوقب آخرون في مدارس أخرى بتسميط اللسان بنار الولاعات، أو بإطفاء السجائر فيه. (ص ١٢١من كتاب أميركا والإبادات الثقافية لمنير العكش).

التعسفية التي كانت تسعى لمحو الهوُية العربية والنيل منها ومحاربة كل مظاهر الثقافة من لغة وزي وأسماء عربية (طائي، ٢٠١١: ٥٧)، لقد أفرزت هذه السياسات الجائرة حالة من الرهاب والذعر المفرط حيث جعلت الطلبة العرب لا يرغبون بالدراسة لأنهم منعوا من أن يدرسوا بلغتهم الأم، فأصبح الناس يشعرون بالوحشة والغربة وهم في عقر دارهم. لذلك بدأ بعضهم بالاندماج والتثاقف والتطبيع مع الواقع المفروض للاستمرار في الحياة اليومية، كما عملت تلك النشاطات الممنهجة في جعلهم يشعرون بالدونية والحقارة أمام المتسلط فاختار بعضٌ منهم الخضوع لثقافة المتسلط أو تقليدها أو التشبه بها. فعدد من هؤلاء انصهروا في بوتقة اللغة المفروضة وتبني ثقافتها وهذا الاندماج والانصهار هو أعظم تساهل وتنازل وتواضع يقدمه الفرد في حياته.[٥٤]

لا بُدّ أن نذكر قضية الانصهار الذي يحصل دون إجبار أو إرغام الحكومة المسيطرة. إن الأمر في جوهره ليس إعجاباً بتلك اللغة المهيمنة في ذاتها وإنما هو انبهار بالمحمول الثقافي والنموذج المعرفي الذي تعبرعنه والذي تروج له المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية، دون فحص معرفي دقيق لتلك الثقافة وذلك النموذج. لقد صدقت مقولة بن خلدون حين قال: المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وساير أحواله وعوائده،

[54] مع كل العواصف والتيارات، وممارسات التنكيل والتهجير التي مورست في حق أهلها طيلة التأريخ منذ قرن الرابع الميلادي ،كالمذابح التي قام بها الملك الساساني سابور الثاني ضد العرب، بقيت الأهواز متمسكة بهويتها. (طائي، ٢٠٠٧: ٣٩).

والسبب في ذلك أن النفس غالباً تعتقد أنّ الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه ومن هنا يحصل التهافت التعبدي للغة الغالب فإذا لغة غير اللغة الأم وثقافة غير الثقافة القومية أصبحت الأداة الوحيدة لتمرير الحياة اليومية وعلت عليها، فتضعف اللغة وتموت شيئاً فشيئاً. والإنسان بناءً على المعايير العقلية ينجذب إلى اللغة التي يستطيع بها تأديةَ واجبات حياته. إذن هنا اللغة تأخذ القبضة وتصبح هي الآمرة الناهية.

إن اللغة لها تأثير مباشر في الشعب المتكلم بها ويمتد هذا التأثير إلى تفكيره وإرادته وعواطفه وتصوراته، وإنّ جميع تصرفاته تصبح مشروطة بهذا التأثير. إن الشعب المتأثر بسلطة لغة أخرى يبتلع من دون شعور حتى الشتائم الموجهه إليه وإلى لغته الأصلية، ويتبناها ويوجهها إلى نفسه، فما يتبقى لهذا الإنسان سوى الاقتلاع عن نفسه وتقمص شخصية الأمة الغالبة حتى يندمج فيها تماماً ويبتعد عن كلمات التحقير الموجّهة إلى بني قومه. ولأن اليونان غرسوا في الروم خنجر النقص وسموهم المتوحشين، حاول الروم وبذلوا كل جهودهم لتقليدهم في كل شيء ليتخلصوا من نفسهم ويصبحوا يونانيين ولا تنطبق عليهم صفة المتوحشين"[٥٥]. هكذا تعمل اللغات الغالبة دائما للسيطرة على اللغات الضعيفة و إخضاعها. هذه السيطرة يمكن أن تنزل إلى مستوى التعصب اللغوي وهو نوع من التحييز يتسبب بانقراض اللغات الضعيفة المهددة أو فقدان منزلتها المحلية بسبب الأهمية الكبرى ومنافسة اللغة المهيمنة. كنموذج يمكننا أيضاً أن نذكر العرب الذين يقطنون

---

[55] Johann Gottlieb Fichte

في محافظة فارس الإيرانية وهم عرب عاشوا في إطار اللغة الفارسية والهُوية الفارسية. حاولت الجماعات العربية هناك أن تهتم بهُويتها ولغتها وتراثها قدر المستطاع طوال قرون حتى أخذ البهلويون مقاليد الحكم. الهيمنة السياسية البهلوية عملت بالطرق شتى لضرب اللغات الأخرى وتغيير كل ما يخص هذه اللغات والثقافات بغية بسط مصالحهم. رضا شاه الذي يعد من العنصريين تجاه القوميات الموجودة في جغرافيتها حاول إبعاد شعوب عرب خمسة[٥٦] (الجباره والشيباني) وفك أواصرها ونفي كل فئة إلى منطقة بعيدة كل البعد وقاية تواصلهم مع بعض لتضعيفها والتي خلفت هذه العملية الشتات بين هذه الجماعات والرجوع إلى الفرس المجاورين والاندماج معهم لتلبية حاجاتهم.[٥٧] فبالقوة ضربتهم بطائراتها ومدافعها، وبالسياسة استعملت سلاح التفرقة بينهم فتنازعوا ما بينهم فذهبت ريحهم وضعفوا واستكانوا. (طائي، ٢٠٠٧: ٥٨). بهذا جرت عملية الانصهار ثقافياً ثم لغوياً، ما تسبب بخلق فراغ تأريخي في نفسية الفرد حيث أمسى يتذبذب في البحث عن هُويته وإصالته

---

[56] هم العرب الذين قطنوا مدن وقرى محافظة فارس من مدينة آبادة، فسا،جهرم، لار، لامرد، مرودشت،سروستان، أقليد، وكانوا يتنقلون كونهم عرب رحل في هذه الأماكن. تختلف النظريات على بداية سكونهم هذه المناطق، فبعضهم يقول إنهم مهاجرون من البلاد العربية(الشام، اليمن، السعودية) وبعضهم الآخر يقول إنهم امتداد لعرب الأهواز. تغيرت أحوالهم بسبب الهجمة البهلوية لفك أواصر الشعوب الموحدة على أساس العرق أو اللغة وجرت عليهم الأساليب التعسفية لدمجهم بالثقافة المركزية. عموماً، هم شعوب عربية يتكلمون اللغة العربية المختلطة مع الفارسية والتركية القشقائية ويجهدون قدر الإمكان أن يبقوا عرباً لكن موجة التفريس أثرت بمعظمهم فنسوا لغتهم وثقافاتهم.

[57]–E.sunderland, Pastoralism, Nomadism and the Social Anthropology of Iran, the Cambridge History of Iran,vol1: the Land of Iran, p.642.

وجذوره. هذه تُعدّ من الإمبرياليه اللغوية المهيمنة داخل الحدود وكما سبقت الإشارة يمكن للهيمنة اللغوية أن تتوسع خارج الحدود الجغرافية.

كان ١٥ مليون نسمة يسكنون كل أمريكا وكانوا السكان الاصليين لتلك الارض وكانت لهم ثقافتهم وهويتهم ولغتهم لكنهم بعد السياسات الاستيلائية وقضايا الإعجاب بالمتسلط والاندماج معه أصبحوا اليوم لا وجود لهم ومن مجموع المئتين لغة ولهجة بقي عندهم ما يقارب العشر لغات فضعفت لغاتهم الأم وتتكلم اليوم أجيالهم الإنجليزية ونسوا أنهم السكان الأصليون وأنّ البيض المهاجرين بعد دخولهم عام ١٤٩٢م ليسوا السكان الأصليين كما يزعمون. (طائي، ١٣٨٢ش: ٨٣).

**فكرة الدولة - الأمة**

تحاول الدول الأوروبية، على خلفية ما خاضت من حروب دامية وطويلة، تحرير نفسها من جرثومة الإيديولوجيات، والعقائد العنصرية في مجال اللغة، مركزة اهتمامها وجهودها على توحيد صفوفها في تكتّلات اقتصادية وسياسية تجمعها قيم ومبادئ مشتركة. بالمقابل نرى أنّ بعض السياسيين في الشرق الأوسط لا يزال يصرّون على الوحدة باتخاذهم لغة واحدة وهذه فكرة أحادية الاتّجاه مرفوضة تماماً.

تستطيع اللغة بواسطة سلطتها أن تتحول إلى وسيلة انتقاء لا تُقر بمنافع المجتمع إلا للّذين يخضعون لقواعدها. فاللغة الحقة والمحقة هي لغة الأيديولوجية المهيمنة. إنها تعطي فرصة للدولة المهيمنة أن تبسط نفوذها

وتشرّعه بخطاب واحد ينسف ما عداه. (علوي وآخرون، ٢٠١١: ١٤٧). كثيرٌ من الشعوب لم يختاروا لغتهم؛ لأن اللغة غالباً ما تكون مفروضة بسلطة أقوى حيث يفرض الفريق القوي لغته على الفريق الضعيف، وبرغمه على الدخول في مداره الثقافي وعلى استخدام لغة بوصفها شرطاً للوصول إلى الموارد التي توجد بين أيدي المهيمنين. (أولندر،٢٠١٠).

الواقع اللغوي المهيمن في الجغرافيا الإيرانية يفرض سلطان اللغة الرسمية على كل من يريد الانخراط بالمجتمع الإيرانى والوصول إلى متطلبات الحياة اليومية من الطفولة إلى الدخول في الجامعات والدوائر والمستشفيات. ولا شك أن هذا التمييز يناقض صراحةً ما ورد في المادة٣ من الدستور الإيراني التي تنص على أنّ من أولويات الحكومة "رفع التمييز غير العادل وإتاحة تكافؤ الفرص لجميع الشعوب في المجالات المادية والمعنوية كلها".[٥٨]

لا ريبَ أن لكل هذا إسقاطات على الواقع العرقي في إيران. كل هذه القبضة الحديدية تأتي من فكرة " الدولة الأمة "التي يروج لها أشباه المستنيرين، أصحاب النعرات والنفخ في العرقية والنقاء وهي أن هؤلاء كانوا وما زالوا يعدّون اللغة الرسمية أهم عنصر مكون لمفهوم الأمة والهُوية الإيرانيتين، وكانوا يرون أن وحدة الأمة الإيرانية التي تصوروها وفقا لمبادئهم وقيمهم تتحق بأحادية اللغة وفرضها وتعميم استخدامها في الجغرافيا الإيرانية. (صياحي، ٢٠١٦: ٤).

[58] الدستور الإيراني، المادة ٣

لا بُدّ أن نذكر أن نظرية الدولة الأمة صناعة أسطورية خلقت من رحم الإحساس العنصري وفي إطار سياسي بحت متخذة السلطة القاهرة أداةً لشطب كل من يهدد كيانها ووحدتها. وعلى خلفية هذه الأسطورة الظالمة في ثقافتنا، هذه الأسطورة التي تعكس حنين بني البشر إلى التحدث بلغة واحدة، لغة يفهما جميعاً تواجه الأقليات مصاعب جمة. ففي سياق ردهم على شكوى مفكري حركة التنوير- والأصوليين –من تعدد اللغات، يدعو كثيرٌ من الباحثين في المجال اللغوي إلى ضرورة تقبل تنوع اللغات عن طيب خاطر، فهذا التنوع شاهد على ثراء العقل الإنساني. (ترابانت، ٢٠٠٨: ٤).

إضافةً إلى ذلك، لماذا كل هذا التهديد والإقصاء ولقد تعلمنا أنّ اللغات الإنسانية لا تتفاضل ونحن مسلمين نتحلى بالإسلام كونه دينَ سمح، دين نظر إلى التعدد اللغوي واختلاف الألسن في كونه آية من آيات الله فرسول الأمة محمد (ص) أتى بدين وفكرة نسخت الأحادية ورسّخت التعددية. كثيرٌ من النصوص الدينية تشير إلى عدم أفضلية لغة على أخرى أو قوم على آخر قال تعالى: ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ [ الروم: ٢٢]

في أغلب الأحوال تغلب فكرة الدولة الأمة على الحق والدين والوجدان وتفشل تجربة التعايش السلمي بين اللغات المتعددة فهناك تجارب وقعت في بلدان أخرى فرضت فيها اللغات بالناروالحديد والدم، ولا يخفي على المتابعين من أهل الاختصاص ما حدث في نشر الفرنسية بعيد الثورة حيث تولى روسبيير وغريغوار مهمة إرهاب الناس في لغتهم، أو ما حدث مع محاكم

التفتيش في إسبانيا، حيث قطع لسان من تحدث بغير الإسبانية، أو ما حدث في عام ١٩١٨م في الولايات المتحدة حيث منعت الحكومة المحلية التكلم في الفضاءات العامة بغير الإنجليزية. (بعلبكي وآخرون، ٢٠١٣: ٢٥٥). أيضاً المنظرون العنصريون الذين حاولوا أن يدرسونا دروساً في الوطنية مثل كارل ماركس ولينين وغيرهم فتّتوا الاتحاد السفيتي بأفكارهم المنفردة حيث إنها تقسمت إلى ١٥ جمهورية و ١٥أمة. في الاتّحاد السوفيتي السابق ولمدة سبعين عاماً كانت اللغة الروسية وملحقاتها من ضمن اهتمام السياسيين وصانعي القرار حتى على الشعوب التي تعد أقلية. فبغطاء الاشتراكية حاولوا أن يوحدوا الهُوّية العامة حتى وأصرّ بعضهم أن يُجبر الناس جميعاً على تغيير الاسم العائلي وإضافة اللاحقة" أُف" في آخر لفظة الاسم، الاسم الذي لم يكن ينقل هُوية الفرد ولغته ولا يصله بأي صلة بآبائه وأجداده أي أصله. (طائي،:١٣٨٢ش ٧٠). أيضاً، في الجغرافيا الإيرانية، وفي إبان الحكم البهلوي، من الممكن أن نذكر بيّنة هذه الظاهرة أي تغيير الأسماء أو إضافة أمير قبل الاسم الأصلي للفرد و إضافة "بور" و"نجاد" و"فرد"[59]و"نيا" و"نام" و... في نهاية اللقب. كانت هذه من ضمن الخطه التي بدأت مع سلطة البهلويين. هذه خطوة من الخطوات التي أُتّخذَت لسحق عربية الطفل الأهوازي وتخليصه من هذا الاسم العربي القديم المتخلف الثقيل على اللسان إلى اسم فارسي موسيقي

[59] إلى جانب النصوص التي قد تكون غريبة ثقافيا ،هناك استعمال مكثف للأسماء والألقاب الإيرانية التاريخية غير المألوفة للقوميات الأخرى في الكتب الدراسية مما تثير الغرابة لدى الطالب.

وطنان(كما يزعمون) فعلى الطفل أن يحتقر نفسه وعربيته ليصبح واحداً من هؤلاء العظماء في البلد!

إنّ كل الثورات الفكرية والسياسية التي حدثت لم تستطع التخلص من هذه العقدة الأسطورية أي اللغة الواحدة والثقافة الواحدة. فالبلاد التي أطلقت على نفسها، بعد الحرب العالمية الأولى اسم الجمهورية التركية، عللت وجودها بمبدأ يزعم أن سكان آسيا الصغرى يتخاطبون بلغة واحدة، ويعتنقون ديانة واحدة لا ديانة سواها. وبهذا النحو، يتجاهل المرء بكل سهولة وسذاجة كل القوميات الموجودة في الجغرافيا التركية. ويجري انتهاج هذه السياسة في بلدان كثيرة حتى يومنا هذا. وفي هذه السياسية يكمن، في الواقع، أحد أسباب الحروب الأهلية.

أيضاً من الحكومات الأبرز التي استغلت نظرية الدولة الأمة هي فرنسا، والتي تعد مركز التعددية اللغوية والثقافية. وأتينا بما فعلت في مستعمراتها أعلاه. الأكاديمة الفرنسية بعد الثورة الفرنسية أطلقت شعار توحيد اللغات والشعوب تحت مظلة اللغة الفرنسية الباريسية وأجبرت الأقليات على استخدام الفرنسية وتضعيف اللغات المحلية. استخدمت هذه السياسات التوحيدية لقرنين من الزمن حتى اعترف السياسيون آنذاك ومن ضمنهم جان شيراك (رئيس بلدية باريس حينها (في عام ١٩٥١م حيث أُذِنَ بتعليم وتعلم اللغات المحلية في المدارس الابتدائية والمتوسطة).

وكما ذكرنا آنفاً أن هذه النظرة السطحية وغير العلمية هي التي ترى استمراريتها وحفظ كينونتها بنفي أو دمج المجموعات الأقلية، إذ تثير صراعاً لا ينتهي بين اللغتين الغالبة والمغلوبة وتتحول اللغة إلى عنصر انقسام. في

إيران، الشعوب التي لا يُؤذن لها بتعلم لغتها الأم، تتهم السلطات بالمغالاة في الوطنية وفي العنصرية وتؤكد أنها تقمع الشعوب التركية والكردية والبلوشية والعربية و...وتضطهد ثقافتها ولغتها وتحظر عليها الإعلان انتماءاتها القومية. إنهم وكما وصف ابن خلدون يصورون لغة الأقلية المغلوبة لغة ميتة، خبّ ومكر وخديعة ولغة متوحشة ومجرد لهجة. إنّ السلوك القومي الإيراني تجاه العرب يبقى قائماً على نظرة عدائية إذ تساهم في تحطيم عزة النفس وتضعيف ثقافتهم وسحق هُويتهم العربية وجعلهم يحسون بالدونية ولتترسخ في نفوسهم عقدة نقص ثقافي وحضاري، فبقى هؤلاء العرب متأثرين بهذه النظرة السلبية إلى أنفسهم وثقافاتهم وبأنهم أدنى مستوى من "الآخر" وكل هذا تسبب بهروبهم من الذات وإخفاء العروبة أو التماهي مع ثقافة الآخر الذي يحسبونه أعلى شأنا. (صياحي، ٢٠١٦: ١٤). وبعد كل هذا التحقير الحاصل تقرر بعض الأسر أن تبتعد عما يسبب لها هذا التحقير في المجتمع ما يسبب بالانتحار اللغوي وهي حالة تُقتل فيها اللغة الأم نتيجة الضغوط النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية المفروضة على الطفل والأسرة وتسري هذه الضغوط حتى تنفذ عملية التحول إلى لغةٍ وثقافةٍ أخرى.

من ناحية أخرى، يتهم الناطقون بالفارسية هذه الشعوب التي تريد إحياء لغتها، بأنها تسعى للانفصال، وأنها تتمسك بمبادئ القومية التركية وأفكار القومية العربية مثلاً. وغنى عن البيان، أننا هنا، إزاء جدل لا قيمة له بالنسبة إلى حقائق ومعطيات الوضع الراهن. إن الربط بين التطلع إلى التعلم باللغة الأم في المدرسة والنزعات الانفصالية، يجسد، في الواقع، تسييس حق

أساسي وذلك نتيجة تبني تصورات زائفة، وإدعاءات باطلة فنحن هنا إزاء حق أساسي من حقوق الإنسان وحق يختص بالتخاطب باللغة الأم وحق جريء ومؤكد في كثيرٍ من المعاهدات والمواثيق الدولية. (اميربور،٢٠١٦: ٣١). إذن اللغة يمكن أن تُتّخذ صراعاً للهُويات. وفي هذا الصدد يقول عزمي بشارة: ليس التعددية (اللغوية) انشقاقاً أو انفصالاً بل هي عنصر من عناصر غنى الأمة الديمقراطية، فالأمة الديمقراطية ليست مولوداً عضوياً موحداً، بل نتاج تفاعل التعددية والاختلاف في إطار سياسي واحد ذي سيادة وجهها الآخر هو المواطنة. (بشارة، ٢٠٠٩: ٥١). والمجتمعات الأحادية مرفوضة في العصر الحاضر بل إنها تحمل بذور الفناء وتُستَقر بتقُبل التعددية. هذه حالة يمكن أن تحول الخلاف إلى صراع هُويات. للباحث الإيراني أصغر كهنمويى عدة مقالات وكتاب أشار فيها إلى هذه النقطة بأن من الحقوق البسيطة جداً هو قبول التعددية وحق التعلم باللغة الأم وهذا الحق لا يعني مؤامرة ضد سيادة الحكومة بل ربما يوطدّ الأواصر بين أبناء الأمة ويزيد من الأمن القومي وخلافه يحدث فجوة في الثقافة والتربية. (كهنمويى،١٣٩٥: ١٩-١). فاللغة الأم في الأهواز وكردستان وآذربيجان وبلوشستان و... لا تأتي لمقابلة اللغة الفارسية ولا تريد أن تشطبها بل إنَّها تريد الاهتمام نفسه الذي تحظى به اللغة الفارسية، وهناك مبالغ هائلة تبذل لتعزيز اللغة الفارسية بما أن اللغات الأم تتسول لتحظى بفرصة عيش.

لا شك أنّ في أغلب الأحيان الأمور تجري بمغايرة تماماً في الحقيقة، ولا نحتاج إلى أن نذهب بعيداً في إثبات ذلك. فهناك ردة فعل عكسية للهيمنة اللغوية حينما تجد وعياً هوويّاً بين أوساط الأمة المتماسكة. هذا التماسك والوحدة

في التعبير عن النفس بلغة واحدة هو الذي ينجي هذه الأقليات المضطهدة ويدخلها في مسير النهضة. فمثلاً رغم استخدام الحكومة البهلوية الطرائق شتى لمحاربة اللغات الأقلية إلا أننا نرى كثيراً من الأطفال يصل إلى البيت راجعاً من المدرسه مخاطباً أمه بلغته الأم تاركاً كل ما هو فارسي خلف كراسي المدرسة (بوربيرار،١٣٧٧: ٣٠). الراوي الأهوازي رضا آنسته يصف هذه الحالة بطريقة مثيرة في إحدى قصصه: "...لذا عمدت الحكومة إلى منع تعلم اللغة الأم لديهم؛ لأنها كانت تنشر العدوى؛ لأن اسمها الضاد هو آخر حرف لكلمة مرض، وهو جرثومة وأقوى الحروف فيها... وهي مليئة بكلمات موبوءة مثل الأرض التي تشترك وتتشابه مع كلمة المرض في الحروف ...وخاصةً أن المرض مصدره اللسان، ولكن لا فائدة أيضاً، فلم تجد الحكومة إلا حلاً أخيراً سوى بتر اللسان. فصارت تبتر الألسنة وخاصة المواليد الجدد قبل أن يصابوا بالداء. لكن لا فائدة، فلقد ابتدعوا لغة إشارة خاصة، تحاكي وتمثل لغتهم وصاروا يميلون للكتابة أكثر...". (آنستة، ٢٠١٩: ٦٦). فردّة الفعل العكسية آتية لا محال.

إن الحفاظ على التعددية اللغوية والثقافية يحظى بمكانة ممتازة ضمن اهتمامات أغلبية الدول في عالم اليوم. وجميعٌ معترفٌ بالتنوع والتعددية اللغوية كونه مشروعاً أخلاقياً وقانونياً في سياقات النضال التي تخوضه الأقليات العرقية التي تعيش حالة من الضياع الهووّي في ظِل السياسات الخاطِئة أو المقصودة أساساً. المؤسسات التي حكمت إيران أدركت ما فعله الاشتراكيون والقوميون في العالم لدمج الأقليات في وعاء واحد أو أمة واحدة

وأدركت أيضاً أن اللغة هي كل الوجود وآلة لبقاء الشعوب، فلهذا بذلوا جلّ اهتمامهم لفرض لغتهم أينما دخلوا والحث على تعليمها والتعلم بها عن طريق إنشاء مؤسسات ومدارس وجمعيات ثقافية وفي المقابل محاولات أخرى ممنهجة لمحو اللغات الأم، أي الإبادة اللغوية التي تخلف الإبادة الثقافية. يطلق مصطلح الإبادة عادة لوصف التدمير المقصود للغة ما أو لثقافة ما وذلك لتحقيق أهداف سياسية أو عسكرية أو دينية أو أيديولوجية أو عرقية أو عنصرية. أصبح استخدام الإبادة اللغوية من الأساليب الأكثر انتشاراً لقتل الشعوب على مدى السنين فبسياسة توحيد اللغات أو صهرها في لغة واحده وبحجج مثل الوحدة الوطنية أو الدولة-الأمة ومآرب تعسفية أخرى تستخدم الإبادة اللغوية كجريمة بشعة للنيل من بعض الهوُيات وإزالتها. فبالإبادة اللغوية تباد الهوُية وعلى إثرها تموت الثقافة و يتغير التاريخ.

إضافةً إلى ما سبق يرى الودغيري أن الدول المهيمنة تمارس ازدواجية في الخطاب، فهي -من جهة- تدعو إلى التعددية، ومن جهة أخرى، تبذل المليارات لنشر لغاتها وفرضها على الشعوب الضعيفة، إضافةً إلى تشبثها داخلياً بالوحدة اللغوية مثل فرنسا وغيرها من الدول التي تمارس سياسة النفاق اللغوي .ولقد مارست اللسانيات الغربية لذلك تحت وطأة السياسي الأيديولوجي نوعاً من النفي للغات الشعوب الضعيفة المغلوبة التي عليها أن تكون مناضلة لترجع لغتها. (علوي وآخرون، ٢٠١١: ١٤٨). إذن المؤسسات الاستعمارية تمارس أنواع الهيمنة والإمبريالية اللسانية على اللغات المغلوبة. من الأسباب التي قادت الحكومات إلى هذه السيطرة الحديدية بعض الأفكار الليبرالية والاشتراكية غيرالعادلة فـ"ماركس" و"إنغلز "والجدد كـ"جلازر"

و"ميل"لم يعترفوا بحقوق الأقليات كالويلزيين، البغاريين، الإسلوانيين، الكرواتيين، الباسكيين و... فمثلاً "ميل" يزعم أنّ على الأقلية الباسكية أن تندمج في الأغلبية الفرنسية ولا تبقى متشبثة بأفكارها وثقافتها ولغتها المتخلفة الحقيرة، وعلى الأقلية الويلزية أن تندمج في الأغلبية البريطانية. فالأغلبية هم الذين يحملون رأية التطور التاريخي والثقافي وعلى الأقلية ان تندمج مع الأغلبية لا محالة حتى لا تمسّ ولا تدنّس الوحدة العامة والهُوية المشتركة في الجغرافيا الواحدة. (الدولة-الأمة).

مع هذا نرى أن الحقوق اللغوية تُعدّ السبب الرئيس للنزاعات السياسية والعنف المستمر في العالم وبالتحديد كندا وبلجيكا وإسبانيا وبلغاريا وتركية ودول أخرى فيها شعوب تختلف في اللغة (كيميلكا، ١٣٩٥ ش: ١٤٣).

## اللغة مجال للصراع

كان المستعمر الفرنسي ليس فقط ضد تعليم اللغة القومية بل ضد تعليم الجزائريين أساساً وعبرت جريدة الأطلس عن وجهة نظرهم بقولها: يمكننا أن نتساءل لماذا ندفئ في أحضاننا أبناء هذه الأفاعي ولماذا تمتلئ ثانوية الجزائر بشباب عرب، يعودون إلى مخبئهم مثل الذئب الذي نريد ترويضه بمجرد أن يصبح حراً. (بعلبكي وآخرون، ٢٠١٣: ١٢٥). إنهم يظنون أن الطفل العربي يبقى متوحشاً بلون عربي وهيكل عربي وطقوس عربية ولا فائدة من تعليمه وإعطائه الحقوق التعليمية. يؤكد جيمس طوليفسون بوضوح أن من بين الأسباب التي تستخدم اللغة وسيلةً للإقصاء هي اللا مساواة التي تعود إلى

البنيات اللاديموقراطية وربما العنصرية التي تسبب اتخاذَ سياسات لغوية تحرم الناس من استعمال اللغة الأم في الأنشطة الضرورية مثل التعليم لتنعدم بذلك فرص دخولهم وتأثيرهم في أجهزة الدولة ومؤسساتها. (طوليفسون، ٢٠٠٧: ١٠).

يذكر منير العكش نصاً للكاتب الأمريكي مارك توين مفعماً بالعنصرية تجاه السكان الأصليين والذي يؤكد هذا الصراع الهووّي الدائم: "وقفت بجانب وزير الحرب وقلت له إن عليه أن يجمع كل الهنود في مكان مناسب ويذبحهم مرة وإلى الأبد. وقلت له: إذا لم توافق على هذه الخطة فإن البديل الناجع هو الصابون والتعليم. فالصابون والتعليم[٦٠] أنجع من المذبحة المباشرة، وأدوم وأعظم فتكاً. إن الهنود قد يتعافون بعد مجزرة أو شبه مجزرة، لكنك حين تُعلّم الهندي وتغسل دماغه فإنك ستقضي عليه -حتماً- عاجلاً أم آجلاً. التعليم والصابون سينسفان كيانه ويدمران قواعد وجوده. وقلت له: سيدي اقصف كل هندي من هنود السهول بالصابون والتعليم ودعه يموت. (العكش، ٢٠٠٩: ١٥). مارك توين تمنى إبادة الهنود الحمر بأعنف طريقة وهي استخدام الإبادة الثقافية واللغوية والهووّية تدريجياً وفي العملية التعليمية.

لا شك أن سلطة اللغات الاستعمارية في المجتمعات الأفريقية جمدت الفرص أمام التنمية الوظيفية لكل اللغات الإفريقية الأصلية تقريباً[٦١]. على

---

60 تعليم يحتوي على نزع اللغة والثقافة أو غسيل دماغ

61 إسبنر(١٩٨٥م). www.diwanalarabia.com

سبيل المثال في ناميبيا الإفريقية تعد اللغة الأولى لدى أغلبية البيض الناميين هي اللغة المسيطرة على كل جوانب الحياة. فعلى السود أن يتعلموها إن أرادوا فرصاً أو حظوظاً للحصول على عمل جيد من الأعمال المسموحة لهم. التركيز هنا على التعليم العنصري واللاديموقراطي وتأكيد تعلم اللغة المسيطرة وإتقانها زوراً وبهتاناً.

من اللافت أنّ الحكومات دائما تحث أبناء الأقليات على إتقان اللغة الرسمية وإذلال لغات الأقليات من أجل التعليم والحصول على عمل أو حتى الحصول على حياة مرفهة على حساب كرامتهم. وكما ذكرنا أعلاه أن اللغة المغلوبة الضعيفة دائماً لغة متوحشة حسب ما يشيعون عنها. في أغلب الأحيان تُهمش لغات الأقليات بعد موافقة الناس التلقائية وإنهم يشاهدون الحياة الاجتماعية والاقتصادية المتعالية لأصحاب اللغة الرسمية وثانياً من خلال أجهزة الدولة وإعلامها الذي يفرض رأيه على الذين يعارضون الأيديولوجية السائدة وهذا ما أكده إسوان في تقريره عن الأقليات التي تعيش تحت سيطرة السلطة البريطانية.

بناءً على ما ذكرناه تُعدّ اللغة أحد مجالات الصراع، وذلك لأن المجموعات الاجتماعية تسعى إلى ممارسة السلطة بتحكمها في اللغة وعادةً ما يكون الفوز من نصيب المجموعة التي بيدها مقاليد الحكم.

# خاتمة

إن جدّة البحث الذي قدمناه، هي في تمكيننا من تنبيه القارئ واطّلاعه على مستجدات علمية تعالج الوضع اللغوي في المجتمع الأهوازي وأيضاً تبيين أنّ من يمتلك لغة شعب يمتلكه بالكامل وذلك في مواجهة مقولة مهمة وهي أن اللغة أساس العلوم وأن كل شعب يحقق أمنه واستقلاله اللغوي والهووّي عن طريق لغته الأم. بعدَ بحوثٍ كثيرةٍ وجدنا أنّ قضية الابتعاد عن اللغة الأم عُولِجَتْ في أكثر من باب ويعدّ التخلي عنها من الإشكاليات المنهجية. لعل أيسر وأول حق من حقوق الشعوب هو أن يكون الإنسان فيها على ما هو عليه دون تحريف أو طمس أو تهميش مهما كانت شخصيته وعرقه وجنسه ولونه ولغته. جميعٌ يتفقُ على أن أبشع جريمة قد ترتكب في حق أي شعب هي في حقيقة الأمر ضرب لهُويته والإصرار على ذوبانه مع هُوية أخرى -فمثلاً- نجد الأقباط في مصر والآراميين في سوريا والأكراد في العراق وتركية وإيران وغيرهم من الشعوب تُمارَس ضدهم المحاولة لتضعيفهم ودمجهم في الدولة-الأمة (بوذراع،٢٠١٧: ٢).

ندعو صانعي القرار ودعاة التنوير أن يتحلوا بما وصلت إليه الأبحاث العلمية وأن يهتدوا إلى الصراط المستقيم، وأن يتركوا الحجج والهتافات والبيزنطيات غير العلمية، فقضية اللغات الأم وإبادتها ترتبط بحق بشري ولها

صلة عميقة بنفسيات الفرد وتراثه الثقافي والقومي فإن الحفاظ على التعددية في اللغة والثقافة يرقى إلى مكانة ممتازة ضمن اهتمامات الدول في عالم اليوم وجميعٌ معترفٌ بهذا التنوع.

نوجز فنقول، إن قضية اللغة اليوم تقف في أعلى سلم الأولويات التي يجب الالتفات إليها. فعلى الأهوازيين الآن أن يعيدوا اكتشاف أنفسهم وطاقاتهم ويتلمسون دربهم للعودة إلى منابع قوتهم (الهُوية اللغوية). وعلى المعنيين أن يهتموا باللغة العربية الأم وأن يكفوا عن تحميل اللغة الأم مسؤولية تخلف الشعب؛ هذا لأن هذه اللغة وسعت القرآن الكريم وكتبت بها مؤلفات بن خلدون والجاحظ وابن حزم وابن الهيثم وابن سينا وأبي هلال العسكري والأصمعي و...وكانت وما زالت لغةً مشرقةً في العالم طوال قرون عدة. لا بأس أن نشير إلى ما نشرته جامعة جنوب الوادي عام ٢٠١٧ م عن عظمة اللغة العربية عسى ولعلّنا نهتم بها أكثر ونخرجها من حالها الوضيع في الأهواز ونعطيها حقها ونتباهى بعظمتها. الصورة رقم ٣.

جامعة جنوب الوادي
كلية التربية دبلومه مهنيه تكنولوجيا التعليم عام ٢٠١٧
ما لا تعرفه عن اللغة العربية
١ لغة القران الكريم و يتحدثها اكثر من 422 مليون نسمة حول العالم
٢ يتوزع متحدثوها الاصليون في الوطن العربي وتركيا وايران وتشاد ومالي واريتريا
٣ الخط العربي هو من أجمل فنون العالم وتحتوي على 28 حرف
٤ تسمى اللغة العربية لغة الضاد لانها الوحيدة التي بها حرف الضاد
٥ اللغة العربية هي لغة العبادات لجميع المسلمين في العالم
٦ عدد كلماتها 12.3 مليون كلمة مقابل 600 الف كلمة للغة الانجليزية
٧ تكتب بحروفها لغات اخرى مثل الفارسية والكردية والملايوية والتركية سابقا
٨ اللغة الرسمية الأولى لدول الوطن العربي والثانية في ارتيريا وتشاد واسرائيل
إشراف أ. د/ حسين عبدالباسط 2017
إعداد دبلومة مهنية قسم تكنولوجيا التعليم
د/ أحمد سمهودى

الصورة رقم ٣

على الحكومة أيضاً أن تواصل دورها في ترقية هذه اللغة العظيمة والدفاع عن الحق بالتنوع اللغوي في إيران وتجريم إبادة اللغات وتنفيذ الحق الدستوري المنصوص بالتعلم باللغة الأم وأيضاً احترام الهُوية الثقافية لكل شعب؛ لأن الإنسان هو الأساس للدولة فعلى الدولة أن تنميه تنميةً مستدامةً بالتركيز على لغته الأم في الدرجة الأولى. فكل لغة تعبر عن معتقدات وخلجات وأحاسيس وأفكار ناطقيها وعلى هذا الأساس، على الحكومة ألاّ تمنع التعلم باللغة الأم بذريعة أن الفارسية سكّر وأنّ اللغات القومية حنظل. (طائي،١٣٨٢ش: ١٩٢). كل لغة هي سكّر لناطقيها ولا يستطيع أحد أن ينزع هذه اللغة بقبضة حديدية بل يزيد من حرص أفرادها عليها عندما يمنعها. هذا ما ثبتَ للجميع خلال الهجمات المتوالية على اللغات المقهورة. فعلى أولياء الأمور أن يعطوا هذا الحق المصيري للشعب وهو اكتساب اللغة العربية بمستوى رفيع. وهذا ما يوضحه أنطوان صياح في قوله: "إن من لم يدخل المدرسة ويتعلم فيها العربية يبقى مغلقاً على عالمها في مستواه المكتوب، وتبقى كنوزها دفينة عليه، ولا يتعرف إليها من خلال ما يسمعه أو يحفظه من الجمل والعبارات الكثيرة الاستعمال، وهي تعود في مجملها إلى ميادين الدين والسياسة". (عمروني و بوفادن، ٢٠١٣: ٧). إذن التعليم المدرسي والمنهجي هو المطلب الأول والأخير وهو الذي ينجي الفرد العربي والفكر العربي من المستوى الوضيع الى المستوى الرفيع.

من هنا نعودُ فنقول – في غياب الاهتمام الحكومي-على أبناء الأقليات ذوي اللغات المهددة أن يدعموا لغاتهم وتأهيلها كتابةً واستخداماً (نؤكد الكتابة باللغة العربية الفصحى دون عنف لغوي وكذلك نؤكد التحدث باللغة

الدارجة الأهوازية دون اقتراض المفردات الفارسية-أي فرسنة المفردات والعبارات والجملات والأمثال العربية)، وتأهيل متكلميها ثقافياً ومعرفياً، بهدف تعزيز الهُوية. أيضاً لا بُدّ أنّ نوليَّ اهتماماً واسعاً للغة العربية، وإقامة تنمية هادفة لمجتمعنا على نحو واسع يشمل كل العناصر والأبعاد الحضارية والثقافية الملحة التي توفر الشروط المناسبة لبقاء اللغة وانتشارها ورقيها، وتقوية فرص متكلميها ومستخدميها في الأسرة والشارع والكتابة والقراءة واستثمار الأطفال فيها، من أجل تكوين مجتمع واحد وأن نكون أمة بمعنى الكلمة.

إلى جانب كل ما ذكرناه من أهميّة اللغة العربية الأم هناك أسباب أخرى لتعلم هذه اللغة منها أن تعلم اللغة العربية تجعل اللسان مستقيماً غير ذي عوج، فاللسان العربي أكثر اللغات وضوحاً ويعدّ الخط العربي من أجمل فنون العالم، اللغة العربية تمنح صورة كاملة عن الشيء الذي نقرأه وقد نلاحظ ذلك في الروايات والكتب التي كتبت باللغة العربية مقابل ما كتبت بلغات أخرى، بتعلم اللغة العربية تستطيع التواصل مع كثيرٍ من الناس في العالم، تعلم اللغة العربية الأم يحفظ كيان الأمة من الضياع بين سائر الشعوب والحضارات، العربية تعدّ ملتقياً معرفياً وتبادلياً بين الأشخاص على مختلف المستويات، هذه اللغة العظيمة مرجع مهم لعديد من لغات العالم، فبعض اللغات استمدت الكلمات والحروف منها؛ لأن اللغات تستقرض عادةً من اللغات الأوائل، فوجدت العديد من الكلمات العربية في اللغات الإنجليزية والتركية والفارسية والكردية وتكتب بحروفها لغات أخرى

مثل الفارسية والكردية، والتركية سابقاً...أيضاً هي اللغة السادسة في الأمم المتحدة والرابعة في العالم من حيث الاستخدام. وقد حظيت اللغة العربية إقبالاً واسعاً عند المستشرقين، فدرسوها وكتبوا فيها وبها وتعلموها حتى قال رينان وهو كاتب فرنسي: "من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة (العربية) وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرّحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسب نظام مبانيها، ولم يُعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُنافَس، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرّج وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة". وقالت أيضاً المستشرقة الألمانية مايا تسينوفا: "بعد دراستي اللغة العربية، اكتشفت أنّه قد أصبح لفمي عقل".

حزمة اقتراحات للاهتمام باللغة العربية وتعزيز استخدامها ومكانتها في المجتمع الأهوازي:

- مشاهدة الأفلام والمسلسلات التي تبث باللغة العربية السليمة على الأقمار الصناعية أو متابعتها عبر المواقع المتاحة كاليوتيوب وآبارات
- الإصرار على استخدام اللغة العربية السليمة في البيت، في المحلات التجارية، في الدوائر والمدارس والجامعات( إذا المخاطب عربي)
- توجيه النساء والبنات في الأسرة على الالتزام بلغتهن العربية عند تعاملهن مع الآخرين في الحياة اليومية وفي مواقع التواصل الاجتماعي

- قراءة وسماع أو حفظ آيات من القرآن الكريم فللقرآن أثر بالغ على ترسيخ اللغة العربية في دماغ الأفراد ولاسيما الأطفال
- قراءة وسماع أو حفظ أشعار من التراث العربي القديم والحديث. والحفظ يعد من الأساليب المهمة لتنمية الذكاء اللغوي واللياقة التعبيرية ومعظم الخطباء والمبدعين يحفظون آيات من القرآن، أبيات شعرية أو قصص تراثية.
- إقامة حلقات ودية تعليمية في الأسرة للتعرف على الرموز والشخصيات العربية ولاسيما الأهوازية كأبي هلال العسكري و علي بن عباس الطبيب، وأبوالحسن الأهوازي، والأمير سلمان الكعبي و علي بن خلف المشعشعي وقراءة نماذج من إنجازاتهم
- التعامل والتواصل مع أشخاص يتقنون اللغة العربية
- قراءة القصص والحكايات للأطفال قبل النوم لأنّ لاوعي الطفل يبقى يقظاً حتى بعد النوم مما يزيد الحصيلة اللغوية لديه
- استخدام الأرقام والأعداد العربية عند الحاجة والإصرار على ذلك. كنموذج مثلا الالتزام بالعربية عند نطق مفتاح بطاقتك الائتمانية (١٣٦٧ واحد ثلاثة ستة سبعة).
- وضع اللغة العربية كلغة افتراضية للجوال والحاسوب و...
- إنشاء مكتبة ولوصغيرة في البيت تضمّ كتباً وروايات عربية
- إقامة الحفلات( ميلاد، قرقيعان، عبيد يدة، عيد الفطر و...) في أجواء عربية أي تكون الأهازيج و التهنئات والكتابة واللغة عربية

- استخدام اللغة العربية في الإعلانات التجارية ويافطات المحلات و بطاقات الدعوة و...
- التزام الكُتّاب الأهوازيين بإتقان واستخدام اللغة العربية في تأليفاتهم والإصرار على ذلك والتقليل من الكتابة والترجمات بلغات أخرى (كما لا يخفى على جميعنا النزعة المفرطة على الترجمة من العربية إلى الفارسية لسهولتها). الفكرة ممّا سبق أن المعهود والمتدوال في تاريخ الانسانية أنّ اللغة تبقى وتحيا بقدر ما يتعاظم رصيدها من الآثار الأدبية والعلمية التي كتبها الواعون من أبنائها. فما نؤلفه أو نكتبه نحن الأهوازيون باللغة الفارسية لا يعزز ولا يخدم لغتنا العربية ولا يصب في نهر الانتاج العلمي والأدبي والثقافي لهذه اللغة بل إنّه مجرد استهلاك لغة أخرى. ومن المؤكد أن ظهور كتّاب عرب يكتبون باللغة الفارسية لم يكن إنجازا ملفتا للساحة الثقافية العربية في الأهواز. بالعكس إن هذه الظاهرة مجرد استهلاك ولاتنفع التأصيل والتعزيز للغتنا، إذا لم تضرّها، وليس من المغالاة أو الشططِ إذا قلنا أنّ الكتابة بالفارسية خزيٌ علينا ونحن أصحاب لغة تعتبر لغة العلم في الماضي والحال والمستقبل وواحدة من اللغات الأربع الأكثر استخدامًا في الإنترنت والبحوث العلمية الآن، وكذلك الأكثر انتشارًا ونموًا متفوقةً على الفرنسية والروسية والصينية والفارسية.

- شطب المفردات الأجنبية من الحوار اليومي و في مواقع التواصل والاهتمام بحملات قل ولاتقل. مثلاً لا تقل گلدان قل مزهرية، لا تقل خيابان قل شارع، لا تقل اطگ تليفون قل أتصل، لا تقل پنكه قل مروحة، لا تقل كولر قل مكيف، لا تقل داروخانه قل صيدلية، لا تقل جراغ قل مصباح، لا تقل لوستر قل ثريّا، لا تقل مبلات قل قنفات، لا تقل دينام قل مضخة، لا تقل شلنگ قل صوندة،، لا تقل جارو برقى قل مكنسه كهربائية، لا تقل خاک انداز قل مكرفة لا تقل تخت قل سرير، لا تقل ميز قل طاولة، لا تقل كارمند قل موظف، لا تقل حقوق قل راتب، لا تقل دانشگاه قل جامعة ، لا تقل هتل قل فندق، لا تقل پارک قل منتزه، لا تقل كامبيوتر قل حاسوب، لا تقل موبايل قل جوال، لا تقل شارژر قل شاحن، لا تقل نقاشي قل رسم، لا تقل پنجره قل نافذة، لا تقل جاكليدى قل لوحة المفاتيح، لا تقل جاكفشي قل خزانة الأحذية، لا تقل كنترل قل جهاز التحكم، لا تقل كارت قل بطاقة، لا تقل پاكت نامه قل ظرف، لا تقل ليست مخاطبين قل قائمة الأسماء، لا تقل پيام قل رسالظ نصية، لا تقل انصب البرنامج قل ثبّت التطبيق، لا تقل فالو قل متابعة، لا تقل النت قل الشبكة، لا تقل تدريس مجازى قل تعليم افتراضي، لا تقل دانلود قل تحميل، لا تقل مسدود قل حظر، لا تقل لايک قل إعجاب لا تقل پرينتر قل طابعة، لا تقل عكس قل صورة لا تقل دوربين قل مصورة، و...

- استغلال الفضاء الافتراضي لصالح النهوض باللغة العربية والرفع من شأنها بين أوساط العامة لاسيما من خلال الاهتمام والاحتفال باليومين العالميين للغة الأم واللغة العربية.
- مطالبة أنفسنا ثم أنفسنا ثم الجهات الحكومية بالتجاوب مع المطلب الشرعي أي تعلم اللغة الأم والتعلم باللغة الأم وإنشاء مراكز تعليم اللغة العربية في الأهواز ومدنها وقراها.

في الختام نذكر أن في ظلّ هذا السجال الحادّ ينبغي أن نعرف أن التاريخ والمسؤلية الأخلاقية لا يأذنان لنا أن نتناسى أو نتغافل أو نتجاهل أو نتحايل على هذا الخطر الذي يحوم حول لغتنا الأم في الأهواز، وأن ندرك الأهمية القصوى لليقظة المطلوبة ويجب التركيز على استخدام اللغة العربية الخالية من العنف اللساني على جميع المستويات في الكتابة والحديث وألاّ يكون دور استعمال اللغة في البيت فحسب ليصل إلى دورٍ مؤثرٍ في كل جوانب الحياة المهنية والعلمية والثقافية. ولا يعني أن هذه السبل التي ذُكرت منفصلة بعضها عن بعض بل من الممكن أن تُمارس كل هذه الأمور معاً، لكي يتطور الفرد ويشعر بالنتيجة المرضية سريعاً. ومع كل هذا ينبغي للفرد أن يجعلها لغةَ تفكيره فهذا الأمر مجدٍ للغاية سواء في تعلم العربية الأم أو أي لغة أخرى.

# أقوال مأثورة في اللغة وأهميتها

-يعد كيان الأسرة عالماً مصغراً للوطن فالأب فيها يعطي الأرض التي يدافع عنها والأم تعطي اللغة.

لويس جان كالفي،مقتبس من كتاب حرب اللغات والسياسات اللغوية

-اللغة هي التي أوجدت الإنسان.

محمد عزيز الحبابي (في كتابه: تأملات في اللغو واللغة)

-إن غلبة اللغة بغلبة أهلها، وإن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم.

الدكتور عزالدين الصحراوي، باحث

-إن اللغة أحد وجهي الفكر، فإذا لم تكن لنا لغة تامة صحيحة، فليس يكون لنا فكر تام صحيح.

ابن خلدون، عالم اجتماع وتاريخ تونسي

-إن اللغة مظهر من مظاهر الابتكار في الأمة.

عبد الله العلايلي، أديب و موسوعي و فقيه مجدد لبناني

-من اللغة تبدأ ثورة التجديد حيث اللغة هي الوسيلة التي لا وسيلة سواها لنشأة المعرفة الإنسانية وتكوينها وتطويرها أو جمودها في بعض الحالات.

زكي نجيب محمود، فيلسوف مصري

-إن اللغة هي أكثر من مجرد وسيلة للتعبير عن التفكير. إنها في الحقيقة عامل رئيس في تشكيل التفكير.

إدوارد فقاعة

-لا توجد أي دولة في العالم انطلقت في المجال التكنولوجي دون الاعتماد على اللغة الأم.

المهدي المنجرة، اقتصادي وعالم اجتماع مغربي

-يا صديقي إننا محاربون والمحاربون يتحدثون لغة بعض.

باولو كويلو فنان،كاتب، روائي، ومترجم

-التعبير عن المشاعر الصادقة لا يحتاج إلى دروس باللغة.. بل إلى أحاسيس باللغة.

حمد الحمادي، روائي إماراتي

-لا أريد أن أموت في لغة لا أفهمها.

خورخي لويس بورخيس ،فنان،كاتب، ومنشىء (١٨٩٩ – ١٩٨٦)

-اللغة ليست زاداً من المواد، بقدر ما هي أفق.

رولان بارت، ناقد وأديب ومنظّر فرنسي

-إذا كان الشخص الذي أتعلم لغته لا يحترم لغتي، فالتحدث بلغته لا يكون دليلاً على الانفتاح بل ولاءً وخضوعاً.

أمين معلوف، كاتب لبناني

-لو ترجمنا بعض تراثنا الشعري إلى لغة حديثة لما حصلنا منه إلا على سواد الوجه !

علي الوردي، عالم إجتماع عراقي

-اللغة يد الدماغ.

علي عزت بيجوفيتش، مفكر وزعيم سياسي بوسني

-لم تصنع اللغة من أجل الاعتقاد فيها وإنما من أجل الخضوع لها.

كلير بارني، فيلسوفة ومحللة نفسية

-لكي تضيع فلسطين أرضاً، كان يجب أن تضيع لغة أيضاً.

مريد البرغوثي، شاعر فلسطيني

-من مشكلات التعلم الشائعه في المجتمعات النامية الانفصام بين لغة العلم وبين لغة الحياة اليومية.

مصطفى حجازي، مفكر وعالم نفس لبناني

-أولئك أزاحوا اللغة عن مرتبة سامية وهؤلاء علو بها إلى أسمى مراتبها.

مصطفى صادق الرافعي، أديب مصري

-هذا الوش الذي أسمعه حينما أحرك مؤشر الراديو، قد لا يكون وشاً، قد يكون لغة أخرى لا أعرف شفرتها.

مصطفى محمود، فيلسوف وطبيب وكاتب مصري

-اللغة سكن؛ لا نتحرر إلا فيه.

واسيني الأعرج، روائي جزائري

-إذا كانت اللغة الأم متشبعة بالانفعالات والنظرة اللاعلمية، في كونها تعكس الوجود المتخلف، فإنها ستؤدي بالتأكيد إلى ترسيخ هذه الانفعالية اللاعلمية وتشجع بالتالي النظرة الخرافية للوجود. ومن هنا تأتي ضرورة تعريب العلوم للتلميذ.

مصطفى حجازي، أكاديمي و مفكر لبناني

-اللغة لا تنطق بذاتها، وإنما ينطق بها أهلها، فإن تغيروا تغيرت.

يوسف زيدان، كاتب و فيلسوف مصري

-أن يكون لديك لغة أخرى هي أن تمتلك روحاً ثانيةً.

شارلمان، شخصية ملكية

-بعد دراستي اللغة العربية، اكتشفت أنه قد أصبح لفمي عقل.

مايا تسينوفا، مستشرقة بلغارية

-كل فقر في اللغة إنما هو فقر في الوجود وفي المعرفة، وفقر في العقل، أليس هذا (الإفقار) بأشكاله الثلاثة في المجتمع، صورة عليا لفقر الإنسان.

أدونيس، شاعر حداثي سوري

-اللغة هي أول ما ينقذنا من وحشة الوجود.

أوغسطينوس، كاتب وفيلسوف من أصل لاتيني

-اللغة سكن ولا نتحرر إلا فيه، يمكننا أن نجيد آلاف اللغات ولكن هناك لغة واحدة تملك القدرة على هز جنوننا وأحلامنا من الداخل.

واسيني الأعرج، روائي جزائري

-اللغة ليست أداة ترفيه أو فرفشة وطرب وإنما هي كتيبة مسلحة لمقاتلة التخلف والغيبوبة والأفيون الفكري.

نزار قباني، أديب سوري

-اللغة ليست وسيلة تخاطب فقط، وإنما هي وسيلة تفكير وهي أحد أركان أمن الشعب ثقافياً وفكرياً.

صلاح منتصر، كاتب و صحفي مصري

-عندما قرر الصهاينة إنشاء دولة لهم كانت اللغة العبرية لغة ميتة، بعثوها بعثاً من المعاجم واستخدموا مفرداتها حتى أصبحت لغة حية، أما نحن فقد ورثنا أكثر اللغات حياة فبذلنا أعظم جهد لقتلها.

غازي عبد الرحمن القصيبي، شاعر وأديب ورجل سياسة سعودي

-إن نتعلم السيطرة على نسيج اللغة ودفقها يعني أن نتعلم كيف نفكر وكيف نطور حساسيتنا وخيالنا وفكرنا النقدي.

ماريو بارغاس يوسا، فنان وكاتب و روائي إسباني من البيرو

-اللغة زهرة الفم.

فريدرش هولدرلين، أديب ألماني

-تحدثك باللغة الانجليزية إلى شخص عربي مثلك، لا يدل إطلاقاً أنك إنسان مثقف، بل أنك إنسان جاهل للغتك، ومحروم أيضاً من جمالها.

نجيب محفوظ، كاتب وروائي مصري(١٩١١ – ٢٠٠٦)

-اللغة هي أكثر ما يُظهر المرء، فلتتكلم حتى أراك.

بن جونسون ، كاتب مسرحي وشاعر وممثل إنجليزي

-إننا لا نلوم أعداء اللغة العربية إذا حاربوها ولكننا نلوم العرب أنفسهم لأنهم يهجرونها في أحاديثها الخاصة والعامة.

عبدالكريم جرمانوس، مستشرق مجري

-اللغة العربية منجم المستقبل.

غادة السمان، كاتبة وأديبة سورية

-إذا تحدثت إلى شخص ما بلغة يفهمها فإن ذلك الحديث سيتوجه إلى عقله، أما إذا تحدثت إليه بلغته الأم فإن ذلك الحديث سيستقر في قلبه.

فريدرش هولدرلين، شاعر وأديب ألماني

-إن أقوى القوّى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة لعربية، بل اللغة العربية الفصحى بالذات فهي التي أنجت المغرب من الذوبان في

أحضان فرنسا وهي التي بلورت الأصالة الجزائرية وكانت عاملاً مهما في بقاء الشعوب العربية.

جان بيرك، كاتب وسياسي فرنسي

إن الحملة على اللغة إنما هي حملة على اللسان وعلى الأدب وثمرات التفكير والحملة على اللغة العربية خاصة إنما هي حملة على كل شيء يعنينا وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية وعلى اللسان والفكر في ضربة واحدة وزوالها لا يبقي للعربي قواماً يميزه عن سائر الأقوام.

عباس محمود العقاد، أديب ومفكر وشاعر مصري

إذا أردت أن تلغي شعباً، تبدأ أولاً بشل ذاكرته، ثم تلغي كتبه وثقافاته وتاريخه، ثم يكتب له طرفٌ آخر كتباً أخرى ويعطيه ثقافة أخرى ويخترع له تاريخاً آخر..عندها ينسى هذا الشعب من كان وماذا كان والعالم ينساه أيضاً.

ديفيد هوبل، مؤرخ بريطاني وحاصل على جائزة نوبل في مجال الطب

# المصادر العربية


-القرآن الكريم، سورة البقرة، الأية ٣١.

-أحمد، عطيه سلمان. نمو الدلاله وتكوين المفاهيم: دراسه ميدانيه لاكتساب الدلاله لدى الأطفال. القاهرة: الآكاديميه الحديثه للكتاب الجامعي،٢٠١٤.

-إمارة، محمد. اللغة والهُوية : تأثيرات وتداعيات على التعليم العربي في إسرائيل.كتاب دراسات، ٢٠١٠.

-آنسته، رضا. الرب والرماد. الأهواز: نشر قهوة: ٢٠١٩.

-بشارة، عزمي. أن تكون عربياً في أيامنا. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية: ٢٠٠٩.

-بشور، نجلاء، نصير. اللغة الأم من منظار تربوي. بيروت: مركز دراسات الوحده العربيه: ٢٠١٦.

-بعلبكي، رمزي منير وآخرون. اللغة والهُوية في الوطن العربي: إشكالات تاريخية وثقافية وسياسية. بيروت: المركز لعربي للابحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣.

-البريدى، عبدالله. اللغة هُويه ناطقة: منظور جديد يمزج اللغة بالهوية والحياة. المجلة العربية،١٤٣٤ هـ.

-بوذراع، حمودة. من هم الأمازيغ وما مدى تاثير الأيدئولوجية العربية في طمس هُويتهم وحاضراتهم، ٢٠١٧.

-ترابانت يورغين. ماهية اللغة: ترجمة عدنان عباس علي . معهد غوته ومجلة فكر وفن. www.goethe.de.

-الجندي، أنور. الفصحى لغة القران، الموسوعة الإسلامية، بيروت، دار الكتاب للبناني، ١٩٨٢.

-جوزيف، جون. اللغة والهُوية: قومية-إثنية-دينية، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، ٢٠٠٧.

-حافيظ، إسماعيلي علوي وآخرون. اللسان العربي وإشكالية التلقي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١.

-الحصري، ساطع. أبحاث مختارة في القومية العربية. بيروت: مركز دراسات الوحده العربية،١٩٨٥.

-حيدر، أحمد. إعادة إنتاج الهُوية. دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، ١٩٩٧.

-خولي، معمر فيصل. لغة الأم. مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، ٢٠١٧.

-خولي، فيصل. اللغة العربية الهُوية والانتماء. مركز الروابط للدراسات الإستراتيجية والسياسية، ٢٠١٥ .

-عازار، كالين. بين اللغة الأم واللغة العلمية واللغة الموضة: ماذا يدور في رأس الطفل. مجلة لاها، ٢٠١٣.

-عبد الحليم، محى الدين. عقوبات رادعة لمن لا يتكلمون الألمانية وحوافز لمن يهملون العربية. منار١٥، الإسلام العدد ٣٨، ٢٠٠٦.

-عبود، ناجي سواري. قاموس المصطلحات اليومية. الأهواز: نشر تراوا، ٢٠١٤.

-العكش، منير. أميركا والإبادات الثقافية: لعنة كنعان الإنكليزية.بيروت: ٢٠٠٩.

-عمارة، محمد. مخاطر العولمة على الهُوية الثقافية: سلسلة في التنوير الإسلامى. القاهرة: دار النهضة، ١٩٩٩.

-عمروني، أعمر ونزيهة، بوفادن. الثنائية اللغوية عند الطفل في ظل العولمة والتعليم في المرحلة الابتدائية. مذكرة تخرج لنيل الماستر ٢. جامعة عبدالرحمن ميرة، قسم اللغة والأدب العربي: ٢٠١٣.

-دراسات نفسية. علم النفس الغوي، المقاييس النفسية، أطفال الروضة، الذكاء اللغوي. مر: دار المنظومة، ٢٠١٥.

- درويش، أحمد. اللغة والهُوية مقارنة بين الحالة العبرية والفرنسية والعربية. مجلة الجسرة الثقافية.

-الذوادي ، محمود. الفرنكو آداب الأنثوية في البلاد المغربية. دراسات عربية، العددان ٣-٤، فبرأير ١٩٩٦.

-الذوادي، محمود. التخلف الآخر: عولمة أزمات الهُوفيات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث. تونس: الأطلسية للنشر، ٢٠٠٢.

-رحاب، سعده البلد. مفهوم اللغة في حياة الطفل الكاتب. www.maganin.com،2005.

-زغو، محمد. أثر العولمة في الهُوية الثقافية للافراد والشعوب. الآكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية،٢٠١٠.

-الزهراني، نجمه بنت عبدالله محمد. النمو النفسي الاجتماعي وفق نظرية إريكسون وعلاقته بالتوافق والتحصيل الدراسي لدى عينة من الطلاب وطالبات الثانوية بمدينة الطائف. جامعة أم القرى، رسالة ماجيستر، ٢٠٠٥.

-شاكر، سوسن. علم نفس النمو للطفل. الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.

-صياحي، عاشور. الإشكالية اللغوية في الأهواز. محاضرة في مدينة الخفاجية، ٢٠١٧.

-الطائي، عباس. ديوان هذا هو الحب. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١١.

-الطائي، عباس. قافلة الحب والموت: مأساة شعرية. طهران: نشر شادكان، ٢٠٠٧.

-كالفي، لوئيس جان. حرب اللغات والسياسات اللغوية. ترجمة حسن حمزة. بيروت، ٢٠٠٨.

-كورت، نورالله وآخرون. اللغة العربية: نشأتها ومكانتها في الإسلام، وأسباب بقائها. جامعة بينغول:٢٠١٥ :ص١٢٥-١٧٠.

-اللامي، عبدالرحمن كريم. الأدب العربي في الأهواز: من مطلع القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر. العراق: مركز دراسات عيلام، ١٩٨٥.

-مريس أولندر، في مفهوم الهُوية أنظر: "مفرد بصيغة الجمع: هُوية أم هُويات" ترجمة رشيد بلحبيب . عدد ٣، ٢٠١٠.

-معجم اللغة العربية . المعجم لوسيط. مكتبة الصحوة .د ت ،ص ١٠٣٩.
-المؤتمر العربي الإقليمي. التعليم للجميع. الرؤية العربية للمستقبل. وزارة التربية والتعليم. القاهرة: من ١-٢ يوليو: ٢٠٠٤.
-الناشف، هدى. إعدادالطفل العربي للقرائة والكتابة. القاهرة: دار الفكر العربي:٢٠٠٨.
-النجار، لطيفة. اللغة العربية بين أزمة الهُوية وإشكالية الاختيار. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: المؤتمر السنوى للعلوم النسانية والاجتماعية -الهُوية واللغة في الوطن العربي- الدوحة: ٢٠٠٨.
-الودغيري، عبدالعلي. لغة الأمة ولغة الأم. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣.
-الوردي، علي. شخصية الفرد العراقي . لندن: منشورات دار ليلى. الطبعة الثانية، ٢٠٠١.
-وسانتوس، بينفنيد. المعذبون: مجموعة قصصية، ترجمة محمد يوسف عدس. المؤسسة الدولية للنشر والمعلومات، ٢٠١٨.

## المصادر الفارسية

-اميرپور،منوچهر. آموزش به زبان مادری در کشور چندقومیتی ایران: تنوع زباني فرصتي گرانبها. مجله فکر و فن، ٢٠١٦.

-پور پیرار، ناصر. دوازده قرن سکوت :اشکانیان. تهران: انتشارات کارنگ، ١٣٨٩ش.

-زارع کهنمویی، أصغر. پأیان تك زباني. تبریز: نشر موغام، ١٣٩٥.

-سعد، جویا بلوندل. عرب ستیزی در ادبیات معاصر ایران. تهران نشر کارنگ، بمن ١٣٨٢.

-طائي، علي. بحران هويت قومي در ایران. نشر شادگان، چاپ دوم، ١٣٨٢ش.

-هاردینگ ادیت. فیلیپ رأیلی، دوزبانگي در خانواده: ترجمه ماندانا ارفع کبود وند. مرکز نشر دانشگاهي، ١٣٨٨ش.

-کیمیلکا، ویل. شهروندی چند فرهنگی، نظریه ای لیبرالی در باب حقوق اقلیتها: ترجمه ابراهیم اسکافی. تهران، نشر شیرازه ی کتاب ما، ١٣٩٥.

# المصادر الأجنبية

-Armstrong, P. W., & Rogers, J. D. (1997). Basic skills revisited: The effects of foreign language instruction on reading, math and language arts. Retrieved February 21, 2010, from, www.ed.gov.html.

-Auer, P., & Wei, L. (2007). *Handbook of Multilingualism and Multilingual Communication*. Oxford: Oxford University Press, 4.

-Bialystok, E., & Majumder, S. (1998). Relationship between bilingualism and the development of cognitive processes in problem solving. *Applie Psycholinguistisc, 19*, 69-85.

-Cenoz, J. (2000). Research on Multilingual Acquisition. *English in Europe. The Acquisition of a Third Language*. Ed. Jasone Cenoz and Ulrike Jessner. Clevedon: Multilingual Matters.

-Cook, V. (1995). Multi-competence and learning of many languages. *Culture and Curriculum, 8(2)* 93–98. Available at *Language* http://www.brad.ac.uk/staff/pkkornakov/bilHermeneus2000.htm.

-Cummins, J. (1991). Interdependence of first- and second language proficiency, in E. Bialystok (ed.), Language *processing in bilingual children*. Cambridge University Press, pp. 70–89. Cambridge:

-Darcy, N. T. (1963). Bilingualism and the measurement of intelligence: Review of a decade of research. *Journal of Genetic Psychology, 103,* 259-282.

-Genesee, F. (1987). *Learning through two languages*. Cambridge: Newbury.

-Hakuta, K. (1985). Cognitive development in bilingual education. *Genetic Psychology Monographs, 21,* 119-128.

-Hameedy, M.A. (2001). *Bilinguality of home and school in Iran: Cognitions and Consequences as show cased in PIRLS*. Iran: University of Azzahra.

-Hamers, J., & Blanc, M. (1989). *Bilinguality and bilingualism*. Cambridge: Cambridge University Press.

-Herbert, H, Clark(1996). Using Language. Cambridge university press.

-Hodal, T. (2005). The teaching of English to bilingual pupils in Danish primary school. *Journal of Bilingualism, 12,* 4, 286-306

-James Paul, 2015, despite the terrors of typologies: the importance of understanding categories of differencesand identity. International journal of postcolonial studies, 17(2) p 174-1.

-Jessner, U. (2006). *Linguistic awareness in multiliguals*. Edinburgh: Edinburgh

-Khodjaste, k. (2007). *Ethnic minorities in Iran. Free thoughts on Iran.*

-Kornakov, P.K. (1997). *Bilingualism in Children: Classifications, questions and problems*.

-Leopold, W. F. (1939). *Speech development of a bilingual child*. Evanston, IL: Northwestern, university press.

-MacNab, G. (1979). Cognition and bilingualism: a reanalysis of studies. *Linguistics, 17,* 231–55.

-Mohanty, A. (1994). *Bilingualism in a multilingual society: Psychosocial and pedagogical implications*. Mysore: Central Institute of Indian Languages.

-Osanyin, F.A. (2002). Early childhood education in Nigeria. Lagos: concept publication limited.

-Peal, E., & Lambert, W. (1962) . The relation of bilingualism to intelligence.

-Philipson, R.H.L, 1992, linguistic imperialism, and linguicism, linguistic imperialism, Oxford oup.srcondary sources. *Monographs, 76,* 1–27.

-Rocas, S &Brewer M,B, 2002. Social identity complexity. Personality and social psychology, review, 6, 88-106.

-Sanz, C. (2006). Bilingual education enhances third language acquisition: Evidence from Catalonia. *Applied Psycholinguistics, 21,* 23–44.

-Siegler, Robert (2006). How children develop, exploringchild develop student mediatool kit&scientficamerican reader to accompany how childrendevelop. Newyork: worth publishers. Available at: http://freethoughts.org/archives/000077.php

-Thomas H. Bak, JackJ. Nissan, Michael M.Allerhand, Ian, J.Deary (2014). Does Bilingualism Influence cognitive aging. https://doi.org/10.1002/ana.24158

-Valdes, G. (1989). Testing bilingual proficiency for specialized occupations: Issues and implications. In Gifford, B. R.(ed). Test policy and test performance: Education, Language, And culture. Boston: Kluwer.

-Vildomec, V. (1963) *Multilingualism.* Leyden: AW Press.

-Vygotsky, L. S. (1962). *Thought and language.* Cambridge, MA: MIT Press.

## المواقع الإلكترونية

Aljazeera.net, 2018-

https://doi.org/10.1002/ana.24158)-،2014)

http://umay.blogfa.com/post-81-

# أنا لُغَتِي

## دراسة حول أهمية اللغة الأم وتنميتها في الأهواز

سعيد بوسامر

هذا كتاب متواضع في مسألة معقدة ومهمة جداً ويأتي في زمان حيث يهيمن على اللغة الأم في الأهواز حالة من الضباب وضعف التداول الصحيح وهجمة عنيفة تحاول تضييق الخناق عليها أو تهميشها. من هنا جهدتُ بعدد من الأبحاث النظرية والمفاهيمية والدراسات التطبيقية والكتب والمقالات وحرصت على المزج بين العديد من المناهج في طرح القضايا المختصة باللغة الأم لينبلجَ الأمر للذين باتوا ضحايا أفكار وحجج وهمية تكاد أن تزيل لغتهم وثقافتهم من الوجود. إن جدة هذا البحث تتجلى في تمكّنه من تنبيه القارئ وإطلاعه على مستجدات علمية تعالج الوضع اللغوي في الأهواز وتُبيّنُ هذه النقطة أن اللغة أساس العلوم وأن الذي لا يُعمل النظر في تحقيق أمنه اللغوي لن يتمكن من التطور الحقيقي. كما أرجو أن تكون هذه الدراسة المتواضعة قد أسهمت في إغناء ثقافتنا العربية الأهوازية وأدت هدفها المنشود في تقديم بعض الإجابات الشافية ورفع بعض التشويشات وإثارة بعض الأسئلة حول ركيزة أساسية من ركائز الهوية ألا وهي اللغة الأم.

مقر قهوه